مركز المسبار للدراسات والبحوث
Al Mesbar Studies & Research Centre

إيران والإخوان

توظيف الدين لمعركة السياسة

الكتـــاب الثمانون – أغسطس (آب) 2013
كتاب شهري يصدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث

العلاقات المصرية ـ الإيرانية بين الإقبال والمراوغة 2011 - 2013

محمد محسن أبو النور (*)

توافرت في العلاقات المصرية ـ الإيرانية إبان ثورة الخامس والعشرين من يناير 2011، بوجه عام، والعلاقات بين النظام الحاكم في طهران وجماعة الإخوان المسلمين، كل عوامل التشويق والإثارة، من جانبها السياسي والشعبوي. إذ لم يمر شهر واحد دون تغيير معادلة العلاقات، بين إقبال ومراوغة، بدءاً من إزاحة الرئيس مبارك من السلطة بالفعل الثوري الحاشد، ثم صعود الإخوان ورئاستهم للبرلمان، ثم حله، ثم انتخاب غرفة ثانية للبرلمان (مجلس الشورى)، وترأس واحد من الإخوان له، ثم انتخاب رئيس منهم للبلاد، ثم عزله، ما وفر لتلك الحالة الخاصة، بُعداً فريداً، أعطى لتلك المرحلة التاريخية المهمة، زخماً فوق الزخم الذي اعتادت العلوم السياسية والتاريخ أن يتوقفا عنده، في العلاقات المصرية ـ الإيرانية.

(*) باحث مصري متخصص بالشؤون الإيرانية في جامعة الأزهر الشريف.

عند الحديث عن العلاقات بين جماعة الإخوان المسلمين ومركزها ومكان نشأتها (مصر)، ونظام ولي الفقيه في إيران، باعتباره نظاماً شيعياً خالصاً، يجب الأخذ في الاعتبار عدة عوامل رئيسة يمكن من خلالها فك ألغاز وحل معضلات العلاقات الثنائية:

أولاً: يجب التعامل مع النظام الإيراني الحالي على أنه «حركة» خمينية[1]، تولت زمام السلطة في طهران بعد الثورة التي أطاحت بالشاه محمد رضا بهلوي عام 1979، وبالتالي فإن العلاقات بين الإخوان كحركة وصلت إلى السلطة في مصر، والخمينية كحركة وصلت هي الأخرى إلى السلطة يغلب عليها طابع التكافؤ والندية والتوازن في المقادير.

ثانياً: العلاقات الإخوانية ـ الإيرانية ليست علاقات ثنائية بحتة، كما هو الحال في معظم نماذج العلاقات الدولية بين المؤسسات أو الأنظمة أو حتى الجماعات الأخرى، ذلك أن حركتي الخميني والإخوان مرتبطتان في الأساس بعدة عوامل حاكمة في سير علاقاتهما الثنائية، وداخلة في صلب تكوين وجهتي نظرهما حيال المسائل الملحة والمحددة للاستراتيجيات العامة لدى كل منهما، وأبرز تلك العوامل ما يتعلّق بحركة حماس ودعم إيران لها بالإضافة إلى الثورة السورية، وما سببته من مشكلات دولية وإقليمية لا حصر لها، فضلاً عن الصراع العربي ـ الإسرائيلي وتداخل أمن الخليج في توجهاتهما وتعاطي كل منهما مع الأوضاع الداخلية لدى الآخر.

ثالثاً: إن المتتبع لسير العلاقات المصرية -الإيرانية إجمالاً، يوقن أن العامل الإسرائيلي هو المحدد الحاكم والمسيطر على سير العلاقات الثنائية بينهما على مر عقود التاريخ المعاصر؛ ذلك أن الحكومة المصرية في عهد الرئيس جمال عبد الناصر قطعت علاقاتها مع الشاه عام 1960، إثر اعتراف بلاده بإسرائيل، وفي المقابل، بادرت الحكومة الخمينية الجديدة في إيران بعد نجاح الثورة عام 1979، إلى قطع العلاقات مع مصر بعد أن وقع الرئيس المصري محمد أنور السادات معاهدة السلام

(1) جميع رؤساء إيران منذ نجاح الثورة في عام 1979م، حتى الآن يجب أن يتوافر فيهم شرط الإيمان بفضل الإمام الخميني وكونه المؤسس للدولة الإسلامية كقاعدة وضعها مجلس صيانة الدستور لاعتماد المرشحين للرئاسة وهو المجلس المخول بالموافقة على المرشحين للانتخابات الرئاسية (الباحث).

في كامب ديفيد مع إسرائيل[2].

تداخلت، على هذا المنوال، أطراف عدة في سير العلاقات المصرية ـ الإيرانية من منظورها الأوسع، امتداداً إلى العلاقات بين جماعتي الإخوان كحركة مصرية إسلامية مسالمة تولت زمام السلطة في مصر بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير 2011، وحركة الإمام الخميني كحركة ثورية اتخذت من نظرية ولاية الفقيه نظاماً لها.

يتضمن هذا البحث عدة محاور في تحليل العلاقات المصرية ـ الإيرانية، في الفترة الواقعة بين عامي 2011ـ2013، أهمها إلقاء الضوء على تاريخية العلاقات بين الإخوان والخمينيين، والتي توجت بصعودهما إلى الحكم، ثم تناولت بالبحث والشرح والتحليل قراءة في العقلية الاستراتيجية لكل طرف، وإدراكه للطرف الآخر، فضلاً عن الحديث عن العوامل الثلاثة المؤثرة في سير العلاقات في تلك الفترة، وهي مسألة أمن الخليج، والثورة السورية، والعامل الإسرائيلي في وجود حماس، كرافد من روافد التنظيم الدولي للإخوان، والمدعوم في الوقت نفسه من طهران.

وبعد تجميع المادة العلمية والبدء في كتابة الدراسة، طفت أحداث 30 يونيو(حزيران) 2013، على مائدة المسرح السياسي في مصر، وبطبيعة الحال، كان لا بد من التعرض لموقف إيران من تلك الأحداث، وما تبعها من الإطاحة بالرئيس المصري المنتخب الدكتور محمد مرسي. وقد راعيت ألا أتعرض للأحداث بالرأي، وأن أنأى بالدراسة عن الحكم على تلك الأحداث أو التعامل معها على أنها الثورة أو الانقلاب، لأن كل ما كان يعنيني هو أثرها على العلاقات المصرية ـ الإيرانية فقط.

العلاقات تاريخية

أدى الصراع الدولي المحتدم، والمعروف باسم «الحرب الباردة»، بين القوتين العظميين الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفيتي في النصف الثاني من القرن

(2) أبو النور، محمد محسن، التجربة والخطأ في العلاقات المصرية ـ الإيرانية، جريدة القدس العربي، الاثنين 29 أبريل/ نيسان 2013. ويمكن الرجوع إلى: الدكتور الصباغ، سعيد، العلاقات المصرية ـ الإيرانية 1970 ـ 1981، دار الشروق 2006.

العشرين، ثم ظهور الولايات المتحدة –مع سقوط جدار برلين، وانهيار وتفكك الاتحاد السوفيتي ـ كقوى عظمى متفردة في العالم، إلى إصرار الإخوان والخمينيين على التقارب من باب لم شمل الحركات الإسلامية، في مواجهة ما يسمونه دائماً الحرب ضد الاستكبار والهيمنة الأميركية.

عندما نجحت الثورة الإيرانية بقيادة آية الله الخميني، كانت جماعة الإخوان المسلمين هي أولى الجماعات والحركات والتنظيمات التي باركت الثورة، وأثنت عليها وأيدتها، وأعطت لها مظلة سياسية، في الوقت الذي كان فيه النظام المصري بقيادة الرئيس محمد أنور السادات يناصب الخميني ونظامه الجديد العداء المطلق.

وتعود العلاقات بين الإخوان المسلمين و«الخمينيين» إلى الوراء سنوات عديدة، إذ يرجع التعاون بين كبار مسؤولي نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية وجماعة الإخوان إلى خمسينيات القرن الماضي، عندما زار مجتبى نواب صفوي في مطلع الخمسينيات القاهرة، والتقى بقادة الإخوان حينذاك، كما أن الكثيرين من الموالين لمؤسس النظام الإيراني آية الله خميني، والمرشد الأعلى علي خامنئي، ينتمون لهذا التنظيم، الذي كان على علاقات وطيدة بالإخوان المسلمين منذ تأسيسه[3].

كانت تجمع الرئيس السادات (1918ـ1981) علاقة قوية بمرشد الإخوان المسلمين وقتها عمر التلمساني، إلى جانب علاقاته غير المحدودة بالشاه المخلوع محمد رضا بهلوي، وهو ما كان يتطلب من السادات حث التلمساني على عدم التقارب مع أعداء صديقه الشاه، غير أن الإخوان لم يذعنوا لرغبة السادات ووثّقوا علاقتهم أكثر فأكثر بالخميني ونظامه. وكان سفيرهم في هذا المضمار رجل الأعمال المصري الإخواني يوسف ندا[4]، الذي قطع جولات مكوكية بين مقر إقامته في سويسرا وطهران لإرساء قواعد التعاون والتفاهم بين النظام الخميني الإسلامي المُكْتَمِلْ في

(3) سعود الزاهد، مستشار خامنئي: «الإخوان» أقرب الإسلاميين لمعتقداتنا، العربية نت، 4 أبريل/ نيسان 2013.

(4) ولد يوسف مصطفى علي ندا في الإسكندرية عام 1931م، وهو رجل أعمال مصري يحمل الجنسية الإيطالية، ومقيم في كامبيونا الإيطالية الواقعة في سويسرا. وهو المفوض العام للعلاقات الدولية في جماعة الإخوان المسلمين، ورئيس حكومة الظل في التنظيم الدولي للجماعة، وهو واحد من أبرز الملياردريات في تاريخ التنظيم، حيث كان يمتلك مصرفاً عملاقا بجزر الباهاما اسمه «التقوى»، إلى أن اتهمه الرئيس الأمريكي جورج بوش عام 2001م، بأنه يدعم الإرهاب على إثر مشادة حدثت بينهما، ثم أصدر قراراً فيدرالياً بتجميد كل حساباته وأصول شركاته. المصدر/ جمع الباحث المعلومات من مصادر مختلفة.

إيران، والنظام الإسلامي الإخواني المُحْتَمَلْ في مصر.

وقد صرّح يوسف ندا بذلك في غير مناسبة، وأكد أنه استأجر طائرة خاصة ضم فيها نخبة من قيادات الجماعة والتنظيم الدولي في مصر، وعدد من الدول الأخرى، وذهبوا إلى طهران لتهنئة الإمام الخميني بنجاح ثورته، وإزاحة الشاه كشرطي في المنطقة، يعمل لحساب الولايات المتحدة الأميركية، فضلاً عن تدارس سبل التعاون على الصعيدين الدولي والإقليمي[5].

قال يوسف ندا: «كنت المسؤول عن الاتصال بإيران، وهذا الكلام يعرفه الإيرانيون جيداً، وقبل نجاح الثورة تكوّن وفدٌ إخواني والتقى بالخميني في باريس بمجرد أن ذهب إلى أبو الحسن بني صدر هناك، بهدف تدعيمه، وكان من ضمن الوفد راشد الغنوشي، رئيس حزب النهضة بتونس، وحسن الترابي من السودان، وعدد من الإخوة من لبنان، وكانت لنا صلة بآية الله بهشتي، والسفير الإيراني في مصر هادي خسروشاهي، وهناك علاقات قديمة بين الإخوان وإيران منذ أيام حسن البنا، فهناك علاقة بين حسن البنا والإمام محمد القمي في إيران، وكذلك علاقات بين حركة الإخوان وحركة فدائيي الإسلام الإيرانية، التي ناصرت الخميني وأسهمت في إنجاح الثورة، وكانت لنا علاقة بآية الله محمد بهشتي منذ أن كان موجوداً في الولايات المتحدة الأميركية، وعلاقات بإبراهيم يزدي منذ أن كان مقيماً بمدينة هامبورج الألمانية».

ويذهب يوسف ندا إلى أبعد من ذلك فيقول، إن الوفد الذي ذهب إلى الخميني بعد الثورة لتهنئته بالإطاحة بالشاه، ضم أعضاء من التنظيم الدولي، من ماليزيا وإندونيسيا والصين.

أما الخميني من جانبه، فلم يكن أقل تحمساً في إقامة علاقات متينة مع الإخوان، فعيّن ضابطاً خاصاً للاتصال مع التنظيم الدولي للجماعة مقره في مدينة

(5) من حوار ليوسف ندا مع الإعلامي أحمد منصور لفضائية الجزيرة القطرية منشور على موقع يوتيوب، بدون تاريخ.

لوجانو Lugano السويسرية[6] بتاريخ 14 مايو (أيار) 1979، أي بعد ثلاثة أشهر تقريباً من نجاح الثورة الإيرانية[7].

ما يمكن قوله للدلالة على تاريخية العلاقات، بين الجماعة وإيران، أن الشيخ حسن البنا، قام بالدور الأبرز في التقريب بين السنة والشيعة، وكان يستند لمفاهيم الوحدة الإسلامية، ومحاربة الطغيان والاستبداد، ونصرة القضية الفلسطينية، وطرد المستعمر.

لا يمكن تجاهل أن الجماعة تدعو دائماً إلى تقريب وجهات النظر بين المذاهب الإسلامية، والقضاء على الفتن حتى تتفرغ الأمة لمواجهة الخطر المشترك الذي يهددها، والمتمثل في الشيطانان، الأصغر والأكبر، الولايات المتحدة وإسرائيل.

يقول محمود عبد الحليم عضو اللجنة التأسيسية للإخوان المسلمين: «كانت الطائفة الشيعية على كثرتها تعيش فى عزلة تامة عن أهل السنة، كأنهما من دينين مختلفين، مع أن هذه الطائفة تضم قوماً من أكرم العناصر المسلمة ذات التاريخ المجيد والغيرة على الإسلام والذود عن حياضه، وقد رأى حسن البنا أن الوقت قد حان لتوجيه الدعوة إلى طائفة الشيعة، فمد يده إليهم أن هلموا إلينا، ولو كانت الظروف قد أمهلت حسن البنا لتم مزج هذه الطائفة بالطوائف السنية مزجاً عاد على البلاد الإسلامية بأعظم الخيرات».

يعتقد الباحث الإيراني عباس خامه يار أن العلاقات بين جماعة الإخوان، وبين قادة الحركة الشيعية بدأت قبل الثورة بسنوات طويلة، وكانت «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية» عنصراً مهماً من عناصر التقارب الفكري بين الجانبين، وكان حسن البنا أحد الناشطين في الدار. ومما يؤكد علاقة الإخوان المسلمين بالحركة

---

(6) لوجانو مدينة إيطالية تقع ضمن الحدود السويسرية جنوب شرق سويسرا، وهي مدينة سياحية عالمية معروفة، تلقب بـ«عروس إيطاليا» في سويسرا، وفيها مطار خاص. المصدر/ موقع السياحة العالمية.

(7) رحل الشاه محمد رضا بهلوي عن إيران للمرة الأخيرة بصبحة زوجته الشهبانو فرح ديبا وعد كبير من أفراد العائلة المالكة يوم 16 يناير/ كانون الثاني 1979، متوجهاً إلى مطار أسوان جنوب مصر، وفي 2 فبراير/ شباط عاد الإمام الخميني إلى طهران من مقر إقامة بضاحية نوفل لو شاتو غرب العاصمة الفرنسية باريس وتسلم السلطة، ثم أعلن يوم 12 فبراير/ شباط عيداً رسمياً لنجاح الثورة. المصدر/ الدكتور سعيد الصباغ، مرجع سبق ذكره، ص197.

الشيعية الإيرانية المناهضة للشاه في تلك الفترة، تلك الحميمية التي كان يكنها الإخوان للناشط الإيراني نواب صفوي[8].

إجمالاً، اتخذت جماعة الإخوان وتنظيمها الدولي، مواقف معتدلة من النظام الإيراني، بالرغم من أن الجماعة سنية والولي الفقيه الجديد شيعي، إلا أن الاختلاف المذهبي لم يمنع الحركتين من التقارب أكثر فأكثر، ومرد ذلك إلى أن منهج الجماعة يقوم في الأساس على إحسان الظن بالمسلمين، وعدم التدقيق في خلفياتهم العقدية، خاصة إذا كانوا في صراع مع القوى المعتدية على الأمة الإسلامية[9].

ركزت جماعة الإخوان في تعاطيها مع النظام الإيراني الجديد على نبذ الفرقة بين الطوائف الإسلامية، في خطوة منها لمد أكبر عدد من الجسور مع إيران، وفي ذلك يقول عمر التلمساني، وهو المرشد العام الثالث للإخوان المسلمين: «إن التقريب بين الشيعة والسنة واجب الفقهاء الآن، ولم تفتر علاقة الإخوان بزعماء الشيعة، فاتصلوا بآية الله الكاشاني، واستضافوا في مصر نوّاب صفوي، وبعيداً عن كل الخلافات السياسية بين الشيعة وغيرهم، فما يزال الإخوان المسلمون حريصين كل الحرص على أن يقوم شيء من التقارب المحسوس بين المذاهب المختلفة في صفوف المسلمين، كما أن فقهاء الطائفتين يعتبرون مقصرين في واجبهم الديني إذا لم يعملوا على تحقيق هذا التقريب الذي يتمناه كل مسلم، في مشارق الأرض ومغاربها، فعلى فقهائنا أن يبذروا فكرة التقريب إعداداً لمستقبل المسلمين»[10].

ما يؤكد الروابط التي جمعت الإخوان وإيران، منذ اللحظات الأولى للثورة، حوار للتلمساني أجرته معه مجلة «المصور» المصرية قال فيه بالحرف الواحد: «حين قام الخميني بالثورة أيدناه ووقفنا بجانبه، مع ما بين أهل الشيعة وأهل السنة من خلاف جذري في العقائد، أيدناه لوجود شعب مظلوم كان حاكمه يظلمه أشنع الظلم وأبشعه، وحين يتمكن هذا الشعب من التخلّص من ذلك الاضطهاد لا نملك أن ننكر

(8) خامه يار، عباس، إيران والإخوان المسلمين، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ط1، 1997 ص22.

(9) شحادة، أسامة، موقف الشيعة وإيران من جماعة الإخوان المسلمين في مصر، موقع البينة، بدون.

(10) التلمساني، عمر، شيعة وسنة، مجلة الدعوة، عدد 105 يوليو/ تموز 1985م.

ذلك عليه، نحن أيدناه من الوجهة السياسية لأن شعباً مظلوماً استطاع التخلص من حاكم ظالم واستعاد حريته»[11].

أما راشد الغنوشي الذي كان واحداً من أعضاء الوفد الذي زار الخميني في مقر إقامته في فرنسا لدعمه وتأييده، ثم زاره مرة أخرى لتهنئته بالثورة في طهران، وهو من أقطاب الإخوان المسلمين في تونس، فيرى أن «الذي يعنينا في الحركة الإسلامية ذلك الاتجاه الذي ينطلق من مفهوم الإسلام الشامل، مستهدفاً إقامة المجتمع المسلم والدولة الإسلامية، وعلى أساس ذلك التصور الشامل. وهذا المفهوم ينطبق على ثلاثة اتجاهات كبرى وهي الإخوان المسلمين، والجماعات الإسلامية بباكستان، وحركة الإمام الخميني في إيران»[12].

لم يقتصر الأمر على الأعضاء البارزين في جماعة الإخوان، وتنظيمهم الدولي، فحسب، بل تعدى إلى دعاة معروفين بتأثرهم بأفكار مؤسس الجماعة حسن البنا لدرجة دفعت رجلاً مثل أبو الأعلى المودودي قبل وفاته بأيام إلى الاعتقاد بأن «ثورة الخميني ثورة إسلامية، وأن القائمين عليها هم جماعة إسلامية وشباب تلقوا التربية في الحركات الإسلامية، وعلى جميع المسلمين عامة، والحركات الإسلامية خاصة، أن تؤيد هذه الثورة وتتعاون معها في جميع المجالات»[13].

وامتد التأييد الإخواني للخميني وثورته حتى وصل ذروته في كلمة لأحد ممثلي التنظيم الدولي للجماعة في الكويت، إسماعيل الشطي، قال فيها بالحرف: «وبما أن الشيعة الإمامية من الأمة المسلمة والملة المحمدية فمناصرتهم وتأييدهم واجب إن كان عدوهم الخارجي من الأمم الكافرة والملل الجاهلية، فالشيعة الإمامية ترفع لواء الأمة الإسلامية، والشاه يرفع لواء المجوسية المبطَّن بالحقد النصراني اليهودي، فليس من الحق أن يؤيد لواء المجوسية النصرانية اليهودية ويترك لواء الأمة الإسلامية، ويرى هذا الصوت أن محاولة تأسيس مؤسسات إسلامية في إيران

(11) مجلة المصور المصرية، تصدر عن دار روز اليوسف، حوار مع المرشد العام للإخوان المسلمين عمر التلمساني، عدد فبراير/ شباط 1982.

(12) الغنوشي، راشد، الحركة الإسلامية والتحديث، دار الجيل، بيروت، ط1، 1984 ص17.

(13) مجلة الدعوة، حوار مع المودودي، العدد 19، أغسطس/ آب 1979.

تجربة تستحق الرصد كما تستحق التأييد لأنها ستكون رصيداً لأي دولة إسلامية تقوم في المنطقة إن شاء الله وما ذلك على الله ببعيد»[14].

الإخوان في إدراك إيران

لقد أدركت إيران، منذ البداية، أهمية جماعة الإخوان المسلمين كتنظيم دولي قوي، يعمل في مصر بطاقته القصوى، وممتد ومتشعب في عشرات الدول حول العالم، كما أن المرشد الإيراني الأعلى علي خامنئي نفسه، يعد واحداً من المتخصصين الإيرانيين القلائل في شؤون جماعة الإخوان المسلمين، ولأنه طليق في اللغة العربية، تحدثاً وكتابة، فقد ترجم للقيادي البارز في جماعة الإخوان المسلمين سيد قطب، ثلاثة كتب قبل الثورة الخمينية، وهو يحرص في كل رمضان على جمع عدد من القراء المصريين في منزله.

وركزت إيران الإسلامية في تعاطيها مع جماعة الإخوان على مفاهيمهما المشتركة في بناء الدولة ونظم الحكم الإسلامي، وعزز ذلك المواقف المتطابقة لدى الجماعة وإيران في عدة مسائل منها مناهضة الاستكبار العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة واتفاقهما على أن إسرائيل هي الشيطان الأصغر في المنطقة[15].

وتوقن إيران بأن جماعة الإخوان هي بيضة القبان في العالم العربي، خصوصاً بعد أن صعد أحد قادتها الدكتور محمد مرسي إلى السلطة، ومن خلال وساطته في وقف إطلاق النار بين إسرائيل وحركة حماس في نوفمبر (تشرين الثاني) من عام 2012م، فقد عزز بقوة من وضعه الدبلوماسي في منطقة الشرق الأوسط بأسرها، وفي الواقع فإنه مع انتهاء عام 2012، استعاد مرسي مركزية مصر في الدبلوماسية الإقليمية، وهو ما جعل إيران تطمح بجدية إلى التقارب مع حكومته.

وتعتقد إيران أن مصر التي يوجد فيها مقر وثقل جماعة الإخوان، هي مركز

---

(14) مجلة المجتمع، الناطقة باسم الإخوان المسلمين في الكويت، الثورة الإيرانية في الميزان، عدد مارس/ آذار 1979.

(15) من حوار لمحمد محسن أبو النور مع جريدة الحياة الجزائرية، نشر في عدد يوم الأحد 23 يونيو/ حزيران 2013م الصفحة الحادية عشرة.

القوة في العالم السني، لما تشكله من ثقل سكاني وإرث حضاري وموقع جغرافي متميز، وهو ما يبرر الدعوة التي نادى بها الدكتور فهمي الشناوي[16] إيران إلى الاستفادة من تلك الأهمية.

يقول الشناوي: إنه في يوم ما ستجد الثورة الإسلامية في إيران السؤال عينه معروضاً عليها للإجابة: هل تفوز برضى مصر؟ فتكون لها الغلبة وتنطلق عالميّاً كقوة دولية كبرى، أم تفقد مصر؟ فتظل محصورة توصف مرّة بأنها مجرد ثورة داخل الفكر الشيعي، ومرة بأنها ثورة جنس الفرس فقط. إن عملية اختراق الحصار العربي إنما تبدأ من مصر، وعملية السباحة عبر المحيط العربي إنما تبدأ من مصر، لا لأهمية مصر بين العرب وحسب، ولكن للأهمية الإستراتيجية لمصر في اللعبة الدولية، ولأنه إن مالت مصر مال العرب، ولأن اكتساب مصر أسهل من اكتساب الحرب الدائرة الآن (بين العراق وإيران)»[17].

يمكن القول إن هناك علاقة أيديولوجية قوية تربط بين الإسلاميين في كل من إيران ومصر، فهم يتشاركون في المشاعر المعادية لإسرائيل، ويدعمون حركة حماس ضد حركة فتح العلمانية القومية في الصراع الفلسطيني الطاحن، ويعتبرون أن الثقافة الغربية تشكل تهديداً عليهم في ظل التزامهم بحكم الشريعة[18].

وهو ما يفسر ما قاله مسؤول كبير لعب دوراً كبيراً في تاريخ العلاقات الإخوانية ـ الخمينية، حيث قال المرشح الخاسر في انتخابات الرئاسة الإيرانية الأخيرة علي أكبر ولايتي[19] في واحدة من جولاته الانتخابية إن الإخوان المسلمين هم الأقرب فكرياً وعقائدياً إلى إيران.

---

(16) فهمي الشناوي، طبيب مصري مختص في المسالك البولية تشيع في مرحلة متقدمة من شبابه وهو معروف بقربه من الحكومة الإيرانية وقد عالج الخميني بعد نجاح الثورة من مرض ألم به في الجهاز البولي. المصدر/ تم تجميع المعلومات من عدة مصادر متفرقة.

(17) الشناوي، مصطفى، أهمية مصر للثورة الإيرانية، نقلاً عن عباس خامة يار، مرجع سبق ذكره، ص23.

(18) Khalaji. Mehdi. The Enduring Egypt-Iran Divide. Project Syndicate. December 31، 2012.

(19) علي أكبر ولايتي هو عضو في البرلمان الإيراني في دورته الأولى، ووزير خارجية إيران خلال الفترة بين 1981 ـ 1997م. وهو أصولي مقرب من المرشد الأعلى علي خامنئي ويعمل حالياً مستشاراً له للشؤون السياسية الدولية، وعضواً في المجلس الثقافي الأعلى للثورة، وعضواً في مجمع تشخيص مصلحة النظام. يعتبر أحد ثلاثة أعضاء ائتلاف الأصوليين في الانتخابات الرئاسية التي أجريت 14 يونيو/ حزيران 2013. المصدر/ الموقع الرسمي لقناة العالم الإيراني ومجلة المجلة السعودية.

ولايتي الذي كان يجلس على منصة جامعة العلوم الإسلامية بمدينة مشهد (عاصمة محافظة خراسان)، شمال شرقي إيران، محاضراً في ندوة «الحوزة الدينية والصحوة الإسلامية» يوم الأربعاء 3 أبريل (نيسان) 2013، قال للحاضرين رداً على سؤال حول العلاقات الإيرانية ـ المصرية بعد صعود أحد كوادر جماعة الإخوان المسلمين إلى السلطة في القاهرة إن «الإخوان المسلمين هم الأقرب إلى طهران بين كافة الجماعات الإسلامية».

صبت إيران اهتمامها على الجانب العقائدي الذي يعتبر قاسماً مشتركاً لها مع الإخوان، لذلك فإن ولايتي الذي تحدث للصحفيين لم تخلُ عباراته من هذا المعنى، وهو وتر قديم ـ حديث، يعزف عليه الساسة في طهران باحتراف، فقال في معرض حديثه عن صلات إيران بمصر الإخوان، بخصوص الرسالة التي وجهها ناشطون إيرانيون إلى الرئيس المصري محمد مرسي، يحذرونه من المصير الذي آل إليه الشعب الإيراني، نتيجة لتحكم نظام ولاية الفقيه في تفاصيل حياته، ونصحوا الرئيس المصري بعدم السعي وراء إقامة نظام ديني في بلاده، حفاظاً على الإسلام، «إن الموقعين على الرسالة عناصر منافقة معادية للثورة الإيرانية المتخذة من لندن مقراً لها». ثم أشار علي أكبر ولايتي إلى رسالة أخرى كان قد وجهها هو وعدد من أساتذة الجامعات الإيرانية الموالين للنظام الخميني إلى الرئيس المصري، حيث دعوه إلى العمل على إقامة نظام ديني في مصر، وهو ما سنتعرض له بشيء من التفصيل لاحقاً.

حول موقف نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية من الإخوان المسلمين قال: «نحن والإخوان أصدقاء، ونقوم بدعمهم، وهم الأقرب إلينا عقائدياً بين كافة الجماعات الإسلامية». وهكذا، أدركت إيران أن أوجه التعاون الإيراني – المصري ستخدم المشروع الإيراني في الأخير، حتى لو شمل ذلك التعاون الاقتصادي، لأنه سيصب في النهاية في خانة تكوين جبهة قوية متحدة ضد إسرائيل، أو بعبارة أخرى تطويق إسرائيل بإطار خماسي الأضلاع، يشمل كل من مصر وسوريا وحزب الله اللبناني وحركة حماس في غزة بالإضافة إلى إيران.

يرى مهدي خلجي، وهو باحث أمريكي من أصول إيرانية، أن إيران بذلت جهوداً مكثفة لإقامة علاقات اقتصادية أكثر قوة مع الحكومة الإسلامية في مصر، بهدف تكوين جبهة قوية مناهضة لإسرائيل في المنطقة، كما أن محاولة إيران إبرام اتفاق تبيع بموجبه النفط المصري الخام، استهدف بالأساس تمكين الحكومة الإيرانية من التكيّف مع العقوبات الاقتصادية التي فرضتها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، لكن على الرغم من تصريح وزير النفط الإيراني رستم القاسمي في أكتوبر/ تشرين الأول، أن هناك مفاوضات جارية بين البلدين، إلا أن وزير البترول والثروة المعدنية المصرية أسامة كمال سارع إلى التبرؤ من السعي لإبرام أي اتفاق من هذا القبيل[20].

إن الصفقة التي كان من المفترض أن تتم بين الجانبين المصري والإيراني في مجال النفط؛ أماطت اللثام عن الإستراتيجية الإيرانية البديلة مع مصر في بداية تولي الرئيس محمد مرسي السلطة، أو يمكن القول أن الخطة (ب) تمثلت في جر مصر إلى التطبيع مع إيران من بوابة الاقتصاد، في الوقت الذي تئن فيه خزانة الدولة المصرية وتترنح مع الموازنة الجديدة لأول رئيس إخواني منذ تأسيس الجماعة عام 1928.

بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير مباشرة، كان لدى صناع القرار في إيران يقيناً بأن العلاقات مع مصر ستعود بالكامل وبشكل سلس، مع تشكيل البرلمان أو حتى مع انتخاب رئيس للبلاد، أياً كانت توجهاته السياسية والعقائدية[21]، غير أن البرلمان شُكل بالانتخاب الحر، ولم يحدث أي تقدم على صعيد العلاقات الرسمية، وهو ما جعل طهران تعجل باستقدام العديد من الوفود الإعلامية والصحفية والأكاديمية، في خطوة منها للتقارب مع مثقفي مصر، لدرجة جعلت أحد الباحثين يصف تلك المرحلة بـ «موسم الهجرة إلى طهران»[22]، واستمرت تلك الرحلات حتى

---

(20) خلجي، مهدي، المصدر السابق.

(21) في حديث لي مع دبلوماسي إيراني شهير بالقاهرة إبان أحداث ثورة يناير 2011م، أكد أن عودة العلاقات المصرية ـ الإيرانية مسألة وقت، وأن طهران تنتظر حتى الانتخابات البرلمانية أو الرئاسية على أقصى تقدير. أبو النور، محمد محسن، الطريق إلى ايران، دار جمعية المعارج العربية، برلين، الطبعة الأولى، 2012.

(22) السلمي، محمد بن صقر، ماذا تريد إيران من مصر ما بعد الثورة؟ موسم الهجرة إلى طهران!»، مجلة المجلة السعودية، الخميس 14 يونيو/ حزيران 2012م.

بعد أن انتخب الرئيس المصري الإخواني محمد مرسي، وبطبيعة الحال لم يحدث التطبيع السلس الذي توقعه الساسة الإيرانيون.

يقول الكاتب والخبير الإسرائيلي تسيفي ماتسائيل أن إيران تدرك جيداً الرمال المتحركة في الشرق الأوسط، وتستعد لخسارة سوريا، أحد حلفائها المخلصين، ما يعقد من التواصل مع حزب الله، ولذلك فهي حريصة على ألا تكون معزولة، وعلى خلق شكل من أشكال الاتفاق مع مصر، إلى أن تعيد تحديد مصالحها في المنطقة[23].

في كل مناسبة، كان وزير الخارجية الإيراني علي أكبر صالحي - الذي يجيد العربية تحدثاً وكتابة - يعلن أن بلاده تأمل في إعادة العلاقات مع مصر الإسلامية الجديدة، دون أي تصريح شبيه من جانب المسؤولين في قصر الاتحادية أو حتى وزارة الخارجية، ما جعل الأمر يبدو للجميع أنه حب من طرف واحد، وفي هذا الوقت بالتحديد بدت إيران أمام المجتمع الدولي متململة أمام المصريين، فهي تسعى للتقارب من دون رد[24].

هذه الحالة الإيرانية شكلت جبهة إيرانية داخلية مناهضة لطريقة التعاطي الإيراني مع مصر، وكتب في هذا الصدد عدد من الكتاب والصحفيين مقالات نددوا فيها بالإهمال المصري لمطالب التقارب الإيراني، حتى وصل الاستياء مداه عند كاتب مثل رضا غبيشاوي، الذي كتب في موقع «عصر إيران»، مقالاً تحت عنوان «الحب من طرف واحد: أي عزة في التوسل إلى مصر.. المنطق والكرامة!»[25].

انتقد غبيشاوي في المصدر نفسه بشدة سياسة بلاده قائلاً: «العلاقة بين إيران ومصر مثل الحب من طرف واحد، فإيران تسعى جاهدة إلى الفوز برضا المصريين، بينما تقوم مصر بإهانة الإيرانيين. من تكون مصر؟ يبدو أن مسألة العلاقة مع

---

(23) ZVI MAZEL. Iran and Egypt. elusive common ground. The Jerusalem Post. 20/10/2.

(24) من حوار لمحمد محسن أبو النور مع مجلة الراصد بعنوان «نحو الهدف.. إيران ومحاولات اختراق الإعلام المصري» نشر يوم الاثنين 10 يونيو/ يونيو 2013م.

(25) نشر المقال في موقع «عصر إيران» بتاريخ الخميس 7 مارس/ مارس 2013م، بعنوان «عشق يكطرفه: التماس سفر به مصر با كدام منطق و عزت؟!». وترجمه محمد محسن أبو النور ونشره في صحيفة «المصريون» القاهرية في اليوم التالي الجمعة 8 مارس/ مارس 2013م، بعنوان «موقع إيراني ساخراً من المصريين: من أنتم؟». بالاشتراك مع الكاتب والباحث السعودي محمد بن صقر السلمي.

مصر تحولت إلى ساحة لإهانة الإيرانيين بسبب سذاجة بعض المسؤولين الإيرانيين، فقبل الثورة المصرية، وخلال فترة حكم مبارك، قام محمود أحمدي نجاد ببعث رسالة متسرعة من أبو ظبي، بأن إيران مستعدة لإعادة فتح السفارة المصرية في طهران قبل نهاية دوام ذلك اليوم، في حالة موافقة الجانب المصري على ذلك، إلا أن ردة الفعل المصرية كانت باردة، وجاءت على لسان مسؤول مصري قد يعتبر من الدرجة الثانية أو الثالثة في الحكومة المصرية، وبعد الإطاحة بنظام مبارك تحوّل موضوع إعادة العلاقات مع مصر إلى شوق منقطع النظير للمسؤولين الإيرانيين على المستوى الدبلوماسي وغير الدبلوماسي، دون النظر إلى واقع الأمر، والتطورات الملموسة في تلك الدولة، الأمر الذي يمكن وصفه بالحب من طرف واحد، وما لبث المسئولون الإيرانيون يتحدثون عن إعادة العلاقات مع مصر منذ تنحي مبارك في أوائل عام 2011م، إلا أن الواقع يقول أنه ليس هناك أي خبر عن تبادل السفراء رغم أننا الآن في بداية عام 2013م، وكل ما شاهدناه مجرد تصريحات ورغبات من جانب واحد واشتياق يفوق الوصف من قبل المسؤولين الإيرانيين، مع ثقة كبيرة في أنهم سينجحون في توثيق العلاقة مع القاهرة في المستقبل القريب، ولا يعلم أحد متى سيتحقق، إلا أن الأمر المؤكد هو أنه وحتى الآن أدى هذا الانجراف نحو مصر إلى تنازلات إيرانية كبيرة ومستمرة، وفي المقابل نجد أن عدم الرغبة المصرية في إعادة العلاقة ما زالت مستمرة. وحول موضوع السماح للإيرانيين بزيارة مدينتي أسوان والأقصر دون الحاجة للتأشيرة وتصريحات المسؤولين المصريين، بأنه لن يسمح للسياح الإيرانيين بزيارة الأماكن الدينية والأضرحة في القاهرة، وكذلك عدم تمكينهم من زيارة الأهرام هناك، بالإضافة إلى اتخاذ كافة التدابير الأمنية لكي لا يقوم الإيرانيون بأعمال بعيدة عما جاءوا من أجله، ما هي هذه السياسة المتشحة بالعزة التي اتخذها المسؤولين الإيرانيون في مواجهة مصر؟ لماذا يواجه الإيرانيون كل هذه الإهانات عندما يقوموا بزيارة هاتين المدينتين في جنوب مصر؟ لقد تحولت إيران بهذه السياسة إلى وسيلة لتحقيق مكاسب للحكومة المصرية لكي يقوم المسؤولون المصريون، بين الفينة والأخرى، ومن خلال أعذار وأساليب جديدة، إلى جعل إيران تشعر بأنها قاب قوسين أو أدنى من إعادة العلاقة ولكن ما يلبث هؤلاء المسؤولين أن يتراجعوا عن ذلك».

يمكن القول أن إيران وجدت نفسها في مأزق حقيقي، ذلك أن مصر بدأت بالفعل في توطيد علاقاتها مع كل من الصين وروسيا والولايات المتحدة الأميركية على حد سواء، ووصل الأمر بالرئيس المصري أن أرسل خطاباً شديد الود والأريحية لنظيره الإسرائيلي شمعون بيريز، شكل أزمة معقدة على الصعيد الداخلي للنظام المصري الجديد الذي يسوق لأفكاره الإسلامية ويعادي إسرائيل علناً وخفاءً، في الوقت الذي كان ينتظر فيه نجاد أو خامنئي خطاباً مماثلاً.

يعتقد الباحثان الأميركيان ديفيد شينكر وكريستينا لينفي، أن الإجراءات التي اتخذها الرئيس المصري، تشير كل خطوة منها على حدة، إلى أن مصر بصدد إجراء تحول في سياستها الخارجية، ينافس المدى الذي طرد به السوفييت من مصر على يد الرئيس السادات عام 1972، ذلك أن ذهاب الرئيس إلى طهران لإلقاء كلمة في مؤتمر عدم الانحياز بعد أكثر من 30 عاماً من العزلة، جعل الأمر يبدو جيداً حتى بالنسبة لأكثر المتابعين تشاؤماً[26].

كما أن هذه السياسة الجديدة التي تتبعها القاهرة، والتي تتمثل في إعادة التقارب مع طهران، هي الأوضح في محاور سياسة مرسي الخارجية، ورغم أن الفكرة بأن مصر هي حليفاً رئيسياً للولايات المتحدة منذ فترة طويلة، وأن توصيف نفسها كدولة «غير منحازة» تعتبر فكرة «بغيضة»، إلا أنها ربما كانت أكثر قبولاً لواشنطن في عهد الرئيس المصري السابق حسني مبارك، ونظراً لتصاعد حدة التوتر بشأن برنامج إيران النووي، فإن توقيت زيارة مرسي بشكل خاص يبدو مستفزاً للغاية[27].

يرى ديفيد شينكر وكريستينا لينفي، أن الأمر الأكثر إشكالية بالنسبة للولايات المتحدة هو تواصل مصر مع الصين. وحيث أن الرئيس المصري منشغل بنتائج سياسة مصر الجديدة التي تخفض عمداً - وحتى ربما تقطع - العلاقات مع إسرائيل - شريكة بلاده في السلام، يبدو مرسي منخرطاً في المراوغة الحذرة. وكما كان الحال مع إيران بعد ثورتها عام 1979، فمن الممكن أن تصبح الصين شريكاً مواتياً لمصر

(26) Schenker, David, Lin, Christina, Lin, Egypt›s Outreach to China and Iran Is Troubling for U.S. Policy, The Washington Institute, August 2012 ,24.

(27) المصدر السابق.

الإسلامية[28].

وعلى الرغم من أن حكومة الرئيس مرسي أبتليت منذ البداية بعدة إشكاليات تتعلّق بالوضع الداخلي؛ مثل انعدام الأمن، وعجز الاقتصاد الذي ربما لا يجد فيه الإيرانيون قيمة كبيرة، إلا أن تحسين العلاقات مع البلد الذي يواجه وضعاً استثنائياً معقداً، سيوفر للولي الفقيه موطئ قدم في البحر الأبيض المتوسط، مع افتراض أن ذلك سيشمل أيضاً منفذاً في أحد موانئها. وربما كانت مصر أيضاً، تحت قيادة مرسي ستوافق في وقت من الأوقات، على مرور السفن الحربية والتجارية الإيرانية عبر قناة السويس، على غرار منحها ذلك للولايات المتحدة على مر التاريخ. ولو حدث ذلك، لكان هذا الامتياز مغرياً على وجه الخصوص بالنسبة لإيران، التي ترى أن هناك حاجة متنامية لكسب معسكر جديد لها في الشرق الأوسط بعد أن أوشكت حليفتها سوريا على السقوط[29].

إيران في إدراك الإخوان

أدركت جماعة الإخوان المسلمين مبكراً أهمية إيران بالنسبة لحركتها العالمية أو ما اصطلح على تسميتها بالتنظيم الدولي للجماعة؛ إذ أن إيران واحدة من الدول التي سعت الجماعة إلى إنشاء فرع لها فيها، ومن هذا المنطلق فإنها أدركت جيداً ـ في وقت متقدم ـ أهمية إيران من حيث نقاط الالتقاء العديدة التي يمكنها أن توظفها لصالحها متى أرادت، وعلى رأسها موقف طهران من الصراع العربي ـ الإسرائيلي، وموقفها المعلن والصريح من دعم المقاومة الفلسطينية وخاصة حركة حماس ـ أحد روافد الجماعة، كما أن نظرة إيران إلى طبيعة نظام الحكم تكاد تكون متطابقة مع الجماعة، فضلاً عن توحد رؤيتيهما تجاه مسألة القومية وتأثيرها على التمكين، وهو ما يمكن بحثه بتأمل عند تمحيص وجهة نظر الإخوان في النظام الإيراني.

وفي مصر الثورة، وجدت جماعة الإخوان نفسها أمام خيارات شديدة التعقيد

---

(28) المصدر السابق.

(29) من حوار لمحمد محسن أبو النور مع إذاعة الجزائر الدولية بُث ليلة السبت 22 يونيو/ يونيو 2013، الساعة الحادية عشرة بتوقيت الجزائر، وهو منشور على قناة الباحث على موقع «يوتيوب».

حيال العلاقات مع الحركة الخمينية، منها ما يتعلّق بالتحالفات الداخلية مع السلفيين والأصوليين الذين يناصبون آيات الله العداء، فضلاً عن موقف مؤسسات الدولة السيادية في مصر، متمثلة في المؤسسة العسكرية والمؤسسة الأمنية، وموقفها من العلاقات مع طهران.

تتفق جماعة الإخوان مع إيران، في كونها تتخذ من مناهضة الغرب مبدأ أساسياً لها. وتعتبر الجماعة أن إقامة دولة إسلامية في مصر، ودولة إسلامية عالمية في نهاية المطاف، أداة ضرورية لمقاومة النفوذ السياسي والثقافي الغربي. ومناهضة الإخوان للغرب هي أقل وضوحاً من إيران في الوقت الحالي، ومع ذلك، لأنه وفقاً لنائب المرشد العام خيرت الشاطر، فإن بناء دولة إسلامية (بمعنى توطيد السلطة) يستبق تأسيس «الدولة الإسلامية العالمية»، وجماعة الإخوان تدرك أنها بحاجة إلى علاقات دولية مستقرة نسبياً حتى يتسنى لها توطيد الحكم في الداخل. ومن ثم؛ فهي مستعدة لإقامة علاقات مع الغرب على المدى القصير، بينما تحقق هذا الهدف، ولكنها من المرجح أن تصبح عدائية في تحقيق أهداف سياساتها الخارجية[30].

على هذا النحو، يصبح واضحاً دور إيران المرحلي في الحلم الإخواني، إذ تعتبر الجماعة وتنظيمها، أن إيران لا تعدو كونها نقطة إنطلاق لإقامة دولة إسلامية عالمية كتلك التي أنشئت على مر العصور. فضلاً عن ذلك، فإنه لا يمكن تجاهل التناغم والانسجام القدري الحاصل بين النظامين، أو بمعنى أدق التنظيمين في كل من القاهرة وطهران، فإذا كان لدى النظام الإيراني محافظون وإصلاحيون، فإن الإخوان كذلك لديهم التقسيم نفسه، وهم بطبيعة الحال يفضلون المحافظين على نظرائهم الإصلاحيين، أو يميلون إلى الصقور أكثر من ميلهم إلى الحمائم.

وبناءً عليه، يمكن اعتبار أن التجربة الإيرانية فى الانتخابات الرئاسية قبل السابقة عام 2009م، تطابقت مع تجربة الانتخابات التى شهدها حزب «الحرية والعدالة» الذراع السياسية المنبثق عن جماعة الإخوان المسلمين، 19 أكتوبر (تشرين الأول) 2012م، حيث استطاع التيار المحافظ فى إيران الحفاظ على صدارته للمشهد

(30) Trager, Eric, The Muslim Brotherhood's Views on Iran, Foreign Policy Association, May 20, 2013

بزعامة الرئيس أحمدي نجاد، وتكرر الأمر نفسه فى تجربة الإخوان وحزبها، حيث باتت الغلبة فيهما لتيار واحد فقط، وهو تيار المحافظين بزعامة الدكتور محمد بديع، ومعاونه الرئيس الجديد للحزب الدكتور سعد الكتاتني. وبالرغم من أن الدكتور عصام العريان غريم الكتاتني فى الانتخابات الأخيرة، هو الممثل الشرعي لتيار المجددين أو الإصلاحيين داخل الحزب والجماعة، فإنه مُني بهزيمة موجعة من منافسه الذي ترأس مجلس الشعب قبل حله، وحصل على 223 صوتاً، بنسبة 32,7٪، مقابل 581 صوتاً بنسبة 67,3٪، للدكتور الكتاتني، وهو ما يؤكد أن غالبية الجماعة الآن حادت عن فكر الإمام حسن البنا، وأن التيار القطبي فيها – نسبة إلى صاحب ظلال القرآن سيد قطب – هو المتزعم والقائد. وبالرغم من أن بصيصاً من الأمل كان يراود المرشح الإصلاحي فى الفوز، خاصة أنه أكثر أعضاء الجماعة تودداً إلى القوى السياسية المدنية والدينية، وأقربهم صلة بالشارع السياسي، غير أنه لقي ما لاقاه المرشح الإصلاحي مير حسين موسوي فى انتخابات 2009م، في العاصمة الإيرانية طهران[31].

وترى أليسون بارجتر أن المجتمع الدولي في حاجة إلى نظرة واقعية للموازنة بين ما يخرج عن «الإخوان» من تأكيدات نبيلة؛ وبين ما يقوم به قادتها من تصرفات عدائية. ففي معرض شرحها للتاريخ المبكر للإخوان المسلمين في مصر، وما تلى ذلك من انتشار في الشرق الأوسط وأوروبا، تُصور بارجتر الجماعة باعتبارها منظمة تواجه مأزقاً مستمراً، بين توسيع قاعدتها عبر مد جسور التواصل مع الآخر، أو ترسيخ قاعدتها من خلال نهج أكثر تشدداً. وكما هو واضح فإن الإخوان اعتنقوا بصفة دائمة تقريباً النهج الأخير، مفضلين بشكل كبير اتباع الاتجاه «المحافظ» على الاتجاه «الإصلاحي»[32].

لهذا السبب، رأت الجماعة التي وصلت إلى السلطة في القاهرة بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير 2011م، بوضعها الحالي أن النظام الخميني القابض

---

(31) أبو النور، محمد محسن، صقور الإخوان يكررون التجربة الإيرانية، جريدة المال المصرية، الثلاثاء 23 أكتوبر / تشرين الأول 2012م.

(32) Pargeter ،Alison. The Muslim Brotherhood. Quoting. Eric Trager. The Muslim Brotherhood: From Opposition to Power. The washington Institute. Summer 2013.

على زمام السلطة في طهران، هو الأقرب إليها، حتى من حيث أعمق نقطة في صلب تكوينها وطريقة تفكير ساستها. وبالرغم من أن وزير خارجية مصر بعد الثورة، الدكتور نبيل العربي، الأمين العام الحالي للجامعة العربية، أعلن أن مصر الثورة ليس لديها أعداء، في إشارة إلى إيران، إلا أن تلك التصريحات لم تترجم على أرض الواقع إلا بعد أن صعد الرئيس مرسي للسلطة في يونيو 2012.

وقد ذهب بعض المحللين الإسرائيليين إلى القول إن الرئيس الجديد المنتخب في مصر، كان يأمل في إنشاء ميليشيات عسكرية غير تابعة للجيش المصري مثل ميلشيات فيلق القدس في الحرس الثوري، أو حتى قوات الباسيدج، أو الكميتة، وأن ثمة زيارة سرية تمت في خريف 2012، بعد أن وجهت الرئاسة المصرية الدعوة لرئيس فيلق القدس، وهي قوة النخبة الخاصة في الحرس الثوري الإيراني، لشرح كيفية إعداد وحدة نخبة خاصة – منفصلة عن الجيش – مخلصة لنظام الرئيس محمد مرسي. كما وردت أنباء خلال الأشهر الأخيرة، مفادها أن جماعة الإخوان المسلمين تقوم بتشكيل ميليشيا خاصة لحماية النظام، ومواجهة خصومه، وأنها تعمل بالفعل.

يرى الكاتب والباحث الإسرائيلي المعروف تسيفى ماتسائيل[33]، أنه منذ الثورة، كثر الحديث عن حاجة مصر إلى تطوير العلاقات الاقتصادية والتجارية مع إيران، بالإضافة إلى السياحة والنقل الجوي مع بلد الملالي. وكلا البلدان لديهما الكثير لتجنيه من تلك الخطوة. وكانت هناك وعود باستثمارات إيرانية في الصناعة، وهو أمر تعد مصر في أمس الحاجة إليه. ومع ذلك، لا تريد مصر الجديدة علاقات عدائية مع لاعب إقليمي قوي مثل إيران.

ما يزال أمام الإخوان المسلمين وضع سياسي محفوف بالمخاطر في الداخل، ليبادورا إلى تطوير سياسة خارجية فاعلة. ومع ذلك، فقد ألمحوا إلى أنهم يرغبون في تأسيس المنتدى العربي ـ الإسلامي لتنسيق ومعالجة القضايا الإقليمية، بهدف تهدئة التوترات في المنطقة. وكان هذا هو الدافع وراء اقتراح مرسي تشكيل لجنة

(33) تسيفي ماتسائيل هو زميل في مركز القدس للشؤون العامة، ويستمد أهميته من كونه عمل سفيراً لإسرائيل لدى القاهرة، فضلاً عن عمله سفيراً لبلاده لدى كل من رومانيا والسويد، وهو خبير في الشؤون المصرية.

رباعية تضم كل من مصر والسعودية وتركيا وإيران لحل الأزمة السورية. ولم يكتب لها الاستمرار طويلاً، كما كان متوقعاً حيث انسحبت تركيا والسعودية في غمرة توترات مع إيران. وجدد مرسي مبادرته في القاهرة لكن السعوديين رفضوا الحضور. فالرياض ودول الخليج لديهم شكوك عميقة في أنشطة إيران فضلاً عن برنامجها النووي، ويتهمونها بتحريض الأقليات الشيعية في الخليج - مثل البحرين والكويت والسعودية - على الأنظمة السنية[34].

العامل الخليجي

مع صعود الدكتور محمد مرسي، رئيس حزب الحرية والعدالة السابق، إلى سد الحكم في مصر يونيو (حزيران) 2012، كان على مصر أن تقدم نموذجاً جديداً من التوازنات الإقليمية والعربية في العلاقات المصرية ـ الإيرانية، خصوصاً أن العامل الخليجي حاضر بقوة على المائدة السياسية المشتركة بينهما، بسبب احتلال الجانب الإيراني لثلاث جزر إماراتية، فضلاً عمّا يوصف دائماً بالتحرش الإيراني في البحرين ودول التعاون الخليجي.

وبالرغم من أن الرئيس المصري وفر في بداية حكمه إشارات أولية واضحة عبر تأكيده وقوف مصر إلى جانب الشعبين الفلسطيني والسوري، لكن طبقة الجليد في علاقات دول الخليج مع جماعة الإخوان المسلمين التي كان أحد قادتها لم تذب؛ إذ تنظر دول الخليج، التي كانت ترتبط بتحالفات وثيقة مع القاهرة طوال 30 عاماً ـ سنوات حكم مبارك ـ بقلق حيال التاريخ الطويل من التعاون ـ سبق أن عرضنا جانباً منه ـ بين جماعة الإخوان وإيران.

ورغم تعهدات مرسي بأن مصر ستكون حرة في سياساتها الخارجية وعلاقاتها الدولية، في تلميح إلى أن كل الخيارات مفتوحة أمام القاهرة، فإن الواقع كان يفرض نفسه باستمرار في نهاية المطاف، مع حاجة مصر الماسة للاستثمارات الخارجية والدعم الاقتصادي، ووجود ملايين من العمالة المصرية في دول الخليج، وهو ما فسر

(34) ZVI MAZEL. Iran and Egypt. elusive common ground. mentioned before.

عدداً من الخطوات التي أقدمت عليها مصر في هذا المضمار حتى قبل مجيء مرسي للسلطة[35].

وقد ساعد في تعزيز هذا التوجه، حرص الرئاسة المصرية على نفي مقابلات نسبت إلى الرئيس مرسي عبر وسائل إعلام إيرانية[36]، وتهديدها بالملاحقة القضائية، وكذلك الحديث المصري المتجدد عن الأمن القومي العربي، إلى جانب الانقسام الواضح في وجهات النظر بين مختلف فروع الجماعة ومؤسسات الدولة في المنطقة، وبين إيران حول عدد من الملفات.

في واقع الأمر كان لتصريحات رئيس مجلس الشورى المصري، الدكتور أحمد فهمي، وهو أحد قادة الجماعة، والتي كرر فيها أمام وفد سياسي بحريني يوم الأربعاء 7 نوفمبر (تشرين الثاني) 2012م، دعم بلاده الكامل لأمن دول الخليج العربية، كونه يمثل لمصر خطاً أحمر لا يمكن تجاوزه بأي حال، كان لها أثر واضح لدى إيران التي تناولت تلك التصريحات بشكل من الفجائية لأنها كانت تتوقع أن تبدي مصر مواقف أكثر مرونة حيال أمن الخليج، خاصة أن مصطلح «أمن الخليج خط أحمر» هو أحد مرادفات نظام حسني مبارك التي كانت القاهرة تحرص على استخدامه بمواجهة إيران باستمرار.

ركزت السياسات المصرية في تلك المرحلة على عدم توجيه رسائل صاخبة إلى أي من الأطراف الإقليمية، خاصة إيران التي تدخل بين الحين والآخر في مشاحنات مع دول الخليج، لعل أبرزها مسألة تسمية الخليج، وهنا برزت محاولة مصرية جادة لتقوية علاقاتها مع دول الخليج من خلال الرسالة التي وجهها مراد علي، الناطق الرسمي لحزب «الحرية والعدالة»، الذراع السياسية المنبثقة عن جماعة الإخوان المسلمين إلى الخليج، عن طريق تحدثه إلى إيران بقوله: «إن رؤية الحزب حول العلاقات مع إيران تشير إلى أنها دولة مهمة بالمنطقة يجب على مصر التعاون معها

---

(35) كان من الأسباب التي كشفت عنها الأجهزة الرسمية المصرية حيال توقيف الدبلوماسي الإيراني قاسم الحسيني في شهر يونيو/ حزيران 2011، في مصر بتهمة تكوين خلايا تجسسة هو طمأنة دول الخليج حول مواقف الدولة من التقارب مع إيران. / الباحث.

(36) نفت الرئاسة المصرية في بدايات تولي الرئيس مرسي السلطة حواراً نشرته وكالة فارس الإيرانية، قالت فيه إن مراسلها في القاهرة قابل الرئيس المصري وأجرى معه حواراً، وهو ما نفته كذلك وزارة الخارجية وجهات سيادية أخرى. / الباحث.

مع الحفاظ على أمن دول الخليج واستقرارها، وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، ورفض محاولاتها لنشر المذهب الشيعي».

وهنا برزت السياسة الإخوانية بشكل واضح تجاه العامل الخليجي في العلاقات المصرية ـ الإيرانية، إذ أكد مراد علي في موضع آخر من حديث له مع شبكة CNN: «إن رؤية الحزب حول العلاقات المصرية ـ الخليجية تنصب على إقامة علاقات قوية بينهما، حيث يرتبطان بعلاقات أمنية واقتصادية وإستراتيجية، كما ترفض مصر التدخل في شؤونهم الداخلية»[37].

يمكن القول أن شعاع ضوء التقارب الإيراني ـ المصري في مرحلة ما بعد الثورة، أثار تحفظاً كبيراً لدى الدول الخليجية، وهو ما جعل مفكري تلك الدول يعبرون عن مخاوفهم من إتمام التحالف الإيراني ـ الإخواني. وفي هذا الشأن قال الكاتب القطري ورئيس تحرير جريدة «البننسولا»، خالد عبد الرحيم السيد، أن «أكثر ما ظل يشغل بالنا في الآونة الأخيرة كشعوب خليجية هو وقوفنا وسط حيرة من أمرنا، بين الدور الذي تلعبه إيران وما تثيره من مشكلات وتدخلات في دول الخليج العربي، ودور الإخوان المسلمين أو ما يعرف بالإسلام السياسي، منذ أن سيطرت هذه الجماعات على دول الربيع العربي»[38].

هذا التخوف، يعززه ما كشفت عنه عدد من الدول الخليجية ـ آخرها السعودية ـ حول زرع إيران لخلايا تجسسية ممتدة ومتشعبة في تلك البلدان، وهو ما يمس نخاع العمود الفقري لأمن الخليج في غياب مصر على الأقل من ردة الفعل السياسية والإعلامية؛ ما جعلت الكاتب القطري يطالب «الشعوب الخليجية أن تتوحد لمواجهة الأخطار الداخلية والخارجية التي تحدق بأمنها ومكتسباتها، وألا تنساق وراء الشعارات التي تجرهم إلى قاع الطائفية السحيق، وإلى تمزيق النسيج الوطني للمجتمع الخليجي، وعلى الحكومات الخليجية استثمار جهودها بما فيه صالح شعوبها والتركيز على موضوع المواطنة، وعليها أن تقف كالجسد الواحد إذا اشتكى

(37) مصر بين تاريخ علاقة الإخوان بإيران وضمان أمن الخليج، سي إن إن، الأحد، 11 تشرين الثاني/ نوفمبر 2012.

(38) السيد، خالد عبد الرحيم، إيران والإخوان وأثرهما على الخليج، الشرق القطرية 4 إبريل/ نيسان 2013.

منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[39].

يرى محمد القواص أن «العلاقة الحقيقية بين الإخوان وإيران تأسست على التصاق مصلحي منفعي، أكثر منه على قماشة عقائدية متينة، فصراع النظام المصري مع النظام الإيراني، وتناقض الأنظمة الملكية العربية ـ الخليج والأردن والمغرب ـ مع الجمهورية الإيرانية، وتناقض المعارضات العربية ـ الإسلامية ـ بما فيها تنظيم القاعدة ـ مع النظام السياسي العربي، وفّر أسبابا للتواصل، وحوّل الإخوان المسلمين إلى رأس حربة إيراني، يصول ويجول داخل الدائرة السنيّة العصيّة على ما يرومه نظام الولي الفقيه»[40].

خلاصة ما سبق، أن مصر بعد ثورة يناير مرت بمرحلتين أساسيتين أولاهما مرحلة حكم المجلس العسكري بقيادة المشير محمد حسين طنطاوي، وهي مرحلة اتصفت بالهدوء والثبات، وتكاد تكون متطابقة مع سياسة مبارك تجاه الدول الخليجية، وفيها بعث جنرالات المجلس العسكري رسائل طمأنة إلى دول الخليج حول موقف مصر من إيران، ثم مرحلة انتخاب الدكتور محمد مرسي، الذي حرص على أن تكون كبرى دول الخليج ـ أعني المملكة العربية السعودية ـ هي أول دولة يزورها بعد توليه السلطة من باب طمأنة الخليجيين أيضاً على موقف مصر الداعم لأمنهم بالرغم من أن المملكة لديها سفيران إيرانيان، أحدهما في جدة، والآخر في الرياض، بينما مصر ليس لديها حتى سفير واحد.

العامل السوري

لعل أبرز أسباب تدهور العلاقات المصرية ـ السورية في مرحلة ما قبل الربيع، هو موقف الإدارة السورية من العلاقات المصرية ـ الإيرانية، ففي الوقت الذي كانت فيه العلاقات بين النظامين المصري والإيراني في أشد درجات توترها، كانت العلاقات الإيرانية ـ السورية تسير نحو صعود مستمر، في علاقة عكسية مع مثيلاتها المصرية، وقد لا ينسى كثير من المتابعين ذلك المؤتمر الصحفي الذي عقده الرئيس السوري

(39) المصدر السابق.

(40) قواص، محمد، إيران والإخوان المسلمون: أصول الطلاق!، ميدل إيسيت أونلاين، 28 ديسمبر/ كانون الأول 2012م.

بشار الأسد مع نظيره الإيراني أحمدي نجاد في دمشق، وتبادلا فيه الضحكات والسخرية من الإدارة الأميركية وأعوانها في المنطقة[41]، وهو ما جعل القاهرة تنظر إلى بشار الأسد على أنه «ولد»، تطاول على رئيس أقدم دولة في التاريخ[42].

بعد الإطاحة بمبارك، اتخذ المجلس العسكري المصري الحاكم (بالتفويض) مواقف متوازنة من الثورة السورية، بالرغم من أن مصر تماشت قراراتها مع قرارات الإجماع العربي[43]، إلا أن المشير محمد حسين طنطاوي لم يخرج بتصريح يندد أو حتى يشجب العمليات العسكرية بحق المدنيين في الأراضي السورية، باستثناء قرار استدعاء القاهرة سفيرها من سوريا وبقائه فى مصر حتى إشعار آخر يوم 19 فبراير (شباط) 2012.

في اليوم التالي مباشرة، أي فى 20 فبراير، وصلت سفينتان حربيتان إيرانيتان إلى ميناء طرطوس فى مهمة تدريبية للبحرية السورية، وتحدث شهود عيان أن قوات إيرانية تقاتل المدنيين العزل جنباً إلى جنباً مع قوات بشار النظامية. ونشر الجيش السوري الحر عدداً من الفيديوهات المسجلة لأسرى إيرانيين من الحرس الثوري والمخابرات الإيرانية، اعترفوا بأنهم نفذوا عمليات عسكرية بحق المدنيين[44].

في هذه الأثناء، كانت إيران تتحسس خطاها نحو العلاقات مع القاهرة واعتمدت ـ كما سبق أن أوضحنا ـ سياسة الزيارات الشعبية والإعلامية بهدف استخلاص مواقف نخبوية مؤيدة لعودة العلاقات، حتى انتخب الرئيس محمد مرسي في صيف 2012م، وبعد انتخابه مباشرة، خرج إلى الجماهير على منصة ميدان التحرير وأعلن أنه ضد سياسة بشار الأسد في سوريا، ووصف ما يحدث على أرض الميدان بأنها جرائم إنسانية وأخلاقية.

---

(41) في إشارة إلى مصر.

(42) جهاد الخازن، حلقة متلفزة مع الإعلامية لميس الحديدي على فضائية CBC بتاريخ 23 أغسطس/ آب 2013.

(43) في 13 أكتوبر/ تشرين الأول 2011م، وخلال اجتماع طارئ لوزراء الخارجية العرب قررت الجامعة العربية ـ بأغلبية ساحقة ـ تعليق عضوية سوريا في أعمال وأنشطة الجامعة العربية ومنظماتها.

(44) محمد محسن أبو النور، «السوري الحر» يواصل أسر عناصر المخابرات الإيرانية.. وطهران تنفي، المشهد، 17 يوليو/ تموز 2012م.

ثم تدرج موقف مصر من الأزمة السورية عن طريق عدة خطوات، منها المساواة بين الطلاب المصريين والسوريين في مراحل التعليم المختلفة، ثم كلمة للرئيس المصري أمام مجلس جامعة الدول العربية، على مستوى وزراء الخارجية العرب، أوصى فيها الأطراف بالعمل على وقف نزيف الدم السوري فوراً، ثم بلغ الموقف المصري الرسمي مداه من خلال الكلمة التي ألقاها الرئيس المصري في مؤتمر دول عدم الانحياز بطهران في 30 أغسطس (آب) 2012، والتي أولى فيها للقضية السورية اهتماماً مضاعفاً وقال فيها بالحرف الواحد:

«إن تضامننا مع نضال أبناء سوريا الحبيبة ضد نظام قمعي فقد شرعيته هو واجب أخلاقي، بمثل ما هو ضرورة سياسية وإستراتيجية ينبع من إيماننا، بمستقبل قادم لسوريا الحرة الأبية، وعلينا جميعاً أن نعلن دعمنا الكامل غير المنقوص لكفاح طلاب الحرية والعدالة في سوريا، وأن نترجم تعاطفنا هذا إلى رؤية سياسية واضحة تدعم الانتقال السلمي إلى نظام حكم ديمقراطي، يعكس رغبات الشعب السوري في الحرية والعدالة والمساواة، وفي الوقت نفسه يحفظ سوريا من الدخول في دائرة الحرب الأهلية، أو السقوط في هاوية التقسيم والصدام الطائفي. ومن هنا، تأتي أهمية توحيد صفوف المعارضة، بما يؤمن مصالح كل أطياف المجتمع السوري، بدون تفرقة أو تمييز، ويحفظ وحدة السلام لهذه الدولة الشقيقة ولهذا الشعب الحبيب. إن مصر من جانبها على اتم استعداد للتعاون مع كل الأطراف، سعياً لحقن الدماء والاتفاق على رؤية واضحة للمبادئ التي ستقوم عليها سوريا الحرة الجديدة، تدشيناً لمرحلة بناء ونهوض يتوق إليها كل سوري مخلص لوطنه وشعبه وأهله وتاريخه. ولقد تقدمت مصر بمبادرتها في هذا الشأن، في مؤتمر مكة، آخر رمضان الماضي، وتدعو الأطراف الفاعلة لأخذ الخطوات اللازمة لإيجاد الحل المناسب، للخروج من هذه المحنة الذي يعاني منها الشعب السوري. إن نزيف الدم السوري في رقابنا جميعاً، وعلينا أن ندرك أن هذا الدم وأوليائه لا يمكن أن يقف أو يتوقف بغير تدخل فاعل منا جميعاً لوقف هذا النزيف»[45].

في المقابل، كانت إيران تقابل تصريحات الرئيس المصري بالصمت، حتى أن

(45) كلمة الرئيس المصري محمد مرسي في مؤتمر قمة عدم الانحياز بالعاصمة الإيرانية طهران، موقع وزارة الخارجية المصرية.

مسؤولاً إيرانياً لم يتحدث ولم يعلّق على ما جاء في كلمة الرئيس مرسي، أو حتى تلك التي ألقاها في عقر دارهم في طهران، ما أعطى دلالة على أن الإيرانيين يسعون بكل جهد لاحتواء الموقف المصري الثوري الذي يعزز من المظلة السياسية للثوار السوريين، بالرغم من أن سوريا بالنسبة لإيران «مسألة حياة أو موت» وأن إيران لا يمكنها التفريط في موقعها من الدولة السورية بمجرد كلمات لرئيس منتخب حديثاً[46]. بعد ذلك بقليل، أثارت تصريحات رجل الدين الإيراني مهدي طائب، الذي منح خلالها سوريا أهمية أكبر من أهمية إقليم «الأحواز» ذو الأغلبية العربية، والذي يضم 90 بالمائة من ذخائر النفط الإيراني، ضجة واسعة النطاق في الأوساط السياسية والمجتمع الدولي وحتى لدى المراقبين المعنيين بالأزمة السورية.

ونقلت قناة «العربية» الإخبارية عن مهدي طائب، الذي يترأس مقر «عمّار الإستراتيجي»[47] لمكافحة الحرب الناعمة الموجهة ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية قوله: «لو خسرنا سوريا لا يمكن أن نحتفظ بطهران، ولكن لو خسرنا إقليم خوزستان «الأهواز» سنستعيده ما دمنا نحتفظ بسوريا». ووصف طائب سوريا بالمحافظة الإيرانية رقم 35، ومنحها أهمية إستراتيجية قصوى بين المحافظات الإيرانية قائلاً: «سوريا هي المحافظة الـ35، وتعد محافظة إستراتيجية بالنسبة لنا. فإذا هاجمَنا العدو بغية احتلال سوريا أو خوزستان، الأولى بنا أن نحتفظ بسوريا».

وذكر موقع «دانشجو»، التابع لقوات التعبئة الطلابية «الباسيج الطلابي»، أن مهدي طائب أكد على أهمية نظام الحكم في سوريا بالنسبة لطهران فقال: «لو احتفظنا بسوريا حينها سنتمكن من استعادة خوزستان، ولكن لو خسرنا سوريا حينها لن نتمكن من الاحتفاظ بطهران». وبعد تأكيده أهمية سوريا الإستراتيجية بالنسبة لطهران انتقل في الحديث إلى ضرورة دعم النظام السوري في إدارة حرب المدن

(46) محمد محسن أبو النور، «أبو النور لـ «الشرق الأوسط»: على نجاد أن يقدم تنازلات»، حوار مع إذاعة الشرق الأوسط المصرية، 6 فبراير/ شباط 2013.

(47) أنشئ مقر «عمّار الاستراتيجي» في عام 2009 في أعقاب الانتخابات الرئاسية المثيرة للجدل التي فاز فيها الرئيس أحمدي نجاد، وأخذ على عاتقه مهمة مكافحة «الحرب الناعمة» الموجهة ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وشارك في تأسيس هذا المقر عدد من الشخصيات السياسية والدينية المعروفة في إيران بـ«أنصار حزب الله»، وهي موالية للمرشد الإيراني الأعلى آية الله علي خامنئي. المصدر/ العربية نت.

قائلاً: «النظام السوري يمتلك جيشاً، ولكن يفتقر إلى إمكانية إدارة الحرب في المدن السورية، لهذا اقترحت الحكومة الإيرانية تكوين قوات تعبئة لحرب المدن قوامها 60 ألف عنصر من القوات المقاتلة، لتستلم مهمة حرب الشوارع من الجيش السوري[48].

أخذت الأحداث في الصعود والهبوط حتى أنهى الرئيس المصري الجدل حول موقف مصر من الأزمة السورية، وأعلن من ستاد القاهرة يوم السبت 15 يونيو (حزيران) 2013، وسط حشد كثيف من مؤيديه، «قطع العلاقات تماماً مع النظام السوري». وقال مرسي، في كلمة ألقاها في مؤتمر سمته مصر وقتها «نصرة سوريا»:

«إن مصر قررت اليوم قطع العلاقات تماماً مع النظام الحالي في سوريا، وإغلاق سفارة النظام الحالي في مصر، وسحب القائم بالأعمال المصري في دمشق، وأنه لا مجال ولا مكان للنظام السوري الحالي في سوريا مستقبلاً، وأن نظام الأسد ارتكب جرائم ضد الإنسانية. لقد وقفنا مع حزب الله عام 2006م، في حربه ضد إسرائيل، والآن نقف ضده لعدوانه على سوريا. وقد بدأنا بالاتصال والتشاور مع الدول العربية لعقد قمة طارئة من أجل سوريا. ونرفض التدخل الأجنبي في سوريا، عسكرياً وسياسياً».

في هذه المرة لم تصمت إيران كما هو الحال في المرات السابقة، إذ أرسل على أكبر صالحي، وزير خارجية إيران، تهديداً شديد اللهجة إلى نظيره المصري محمد كامل عمرو، بقطع العلاقات الاقتصادية مع مصر، بسبب موقف الرئيس مرسي المناوئ لنظام بشار الأسد، واختلاف المواقف تجاه القضية السورية.

في غضون ذلك، ذكر عضو لجنة العلاقات العامة بالخارجية المصرية، رأفت السيد، أن الخارجية الإيرانية وجَّهت تحذيراً منذ قرابة شهرين، بخصوص البيانات والخطابات الرسمية بشأن سوريا، وفكرة التدخل المصري خلال الفترة الأخيرة. وأكد السيد أن مصر حريصة على إقامة علاقات قوية مع إيران في المرحلة القادمة، غير أن بوادر الأزمة بين البلدين قد ظهرت بسبب اختلاف المواقف تجاه القضية

(48) رجل دين إيراني يصف سوريا بالمحافظة الإيرانية الـ35، العربية نت، 15 فبراير/ شباط 2013م

السورية، خاصة وأن الرئيس المصري قد أعطى الضوء الأخضر للمصريين بشأن الجهاد في سوريا.

وقال عبد الشكور عبد المجيد، عضو مجلس الشورى في لجنة الشؤون الخارجية: «إن هناك أزمة بين البلدين بسبب المواقف الرسمية من القضية السورية، وإن حرص إيران وإصرارها على إبعاد مصر عن نصرة الشعب السوري ودعمه، سيدفعها إلى قطع العلاقات الاقتصادية مع مصر. وطلبت لجنة العلاقات الخارجية بالشورى من الرئيس مرسي عدم الاهتمام بإيران في اتخاذ قرارات بشأن الأزمة السورية أو إيضاح موقف مصر برفض ما يجري على الأراضي السورية من قبل نظام الأسد، الذي يرتكب الجرائم ضد شعبه، وهو الأمر غير المقبول».

وسط هذا الكم المتلاطم من الأحداث والحقائق الميدانية، يصر النظام الإيراني على أن ما يحدث في سوريا مؤامرة دولية كبرى، وأنه لا وجود لعناصره بالمرة في الأراضي السورية؛ بينما كان موقف إخوان سوريا متعارضاً مع موقف النظام الإخواني الحاكم فى مصر، حيث يرى إخوان سوريا أن الموقف المصري الذي يقوده الإخوان يتسم بالمهادنة وسياسة اللافعل، بالتوازي مع التقارب المرفوض مع النظام الإيراني المتورط فى قتل السوريين ومساندة نظام بشار. وبطبيعة الحال رفض إخوان سوريا المبادرة المصرية لحل الأزمة السورية، وأصدروا بياناً شديد اللهجة بتاريخ 7 مايو (آيار) 2013، استنكر موقف النظام المصري وأشاد بالموقف السعودي وجاء فيه: «إننا مع شكرنا وتقديرنا لدور الشقيقة مصر في استقبال اللاجئين السوريين وحسن ضيافتهم، نؤكد أن مبادرة الرئاسة المصرية لم تكن بمشورة ولا بتنسيق مع المعارضة السورية، ولا مع أيّ فصيل من فصائلها، بما فيها جماعتنا». وأضاف البيان أن «تصريحات الرئيس محمد مرسي في موسكو كانت مؤلمة لأبناء شعبنا. وأن الدم السوري أغلى وأقدس من أن يكون مادة للمجاملات البروتوكولية والدبلوماسية. واستنكر مواقف مرسي المتناقضة مع الموقف الإخواني الظاهري، سواءً في موسكو أو مع الرئيس الإيراني أحمدي نجاد فى القاهرة»[49].

(49) النجار، مصطفى، يوميات الثورة السورية (3) ثورة أم حرب طائفية؟، الشروق المصرية، 11 يونيو/ حزيران 2013.

أما إيران، فتضع فى حساباتها المسألة الفلسطينية التى تمثل لها إحدى أوراق الضغط والنفوذ في المنطقة، عبر دعمها المباشر لحركة حماس، وبعض فصائل المقاومة الأخرى، هذا الدعم الذى يمر في أغلبه عبر دمشق، وسقوط نظام بشار ومجيء نظام جديد قد يعني قطع الطريق عليها، وفقدها لهذه الورقة بالغة الأهمية. وعلى هذا الأساس، فإن سقوط نظام بشار قد يغير المعادلة القائمة في العراق، حيث سيتدفق عشرات الآلاف من المقاتلين السنة إلى بغداد لتتغير معادلة وتوازن القوى في المشهد العراقى في اتجاه لا ترغبه إيران. هذا السقوط المحتمل قد يعني أيضاً إضعافاً لحزب الله في لبنان حيث سيقوى موقف القوى السياسية المناوئة له، وقد يقطع عنه الجسر المستمر من دمشق، والذي يحمل كل أنواع الدعم المالي واللوجستيي والعسكري والفني، باعتباره حليف إيران وتابعها الأول بالمنطقة.

بالإضافة إلى ذلك، فإن حدوث تغير فى معادلة القوة بالمنطقة، قد يسبب تأثيراً سلبياً على المشروع النووي الايراني، حيث من الوارد أن تتغير الخطط الغربية والإسرائيلية لإجهاضه بشكل أكثر قوة. وكل ما مضى يؤكد أن إيران ستظل حريصة على الدعم المطلق للنظام السوري فى مواجهة الثوار، وأنها لا تستطيع أن تحذو حذو تركيا التي قامت بمراجعة سياسية لما يحدث، وانتقلت من التحفظ إلى دعم المحتجين السوريين، ثم إلى مساندتهم بشكل كامل[50].

وما سبق يشير إلى أن المسألة السورية بالنسبة لإيران شديدة الخطورة والأهمية في آن، كما أن الثورة على بشار تكاد تكون ثورة على خامنئي نفسه، لذلك عمدت طهران على بناء إستراتيجية لمرحلة ما بعد الأسد[51]. وبطبيعة الحال تحتل مصر من تلك الإستراتيجية موقع القلب لأنها الدولة صاحبة الحدود المشتركة مع فلسطين فضلاً عن ثقلها في المحيطين العربي والإسلامي، وبالنسبة لإيران فإن رحيل الأسد في حد ذاته ليس معضلة، بقدر ما يعنيه سقوط النظام نفسه، وهو ما أكده أحد رجال الدين الإيرانيين المقربين من المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي، ولذلك فإن إيران تعمل الآن على تأمين الأسلحة والذخائر التي هربتها إلى سوريا

(50) المصدر السابق.

(51) أبو النور، محمد محسن، إيران بعد الأسد، المصريون 26 فبراير/ شباط 2013.

في السنوات الأخيرة، عن طريق حفر كهوف في الجبال المنتشرة على طول الحدود الجنوبية مع لبنان، حيث يسيطر حزب الله هناك بكتائب فائقة التسليح والتدريب، ما يؤكده تصريحات فريد هاف، مسؤول الملف السوري السابق في البيت الأبيض، حول استعدادات إيرانية للتعامل مع مرحلة ما بعد الأسد، وهذه المعلومات يؤكدها ما أعلنه الجيش الإسرائيلي حيال تدخله في الأراضي السورية واستهدافه عدة حافلات، قال إنها كانت محملة بالأسلحة[52].

العامل الإسرائيلي في وجود حماس

لا يخفى على أحد أن صواريخ فجر5[53] التي أمطرت بها كتائب المقاومة الفلسطينية في غزة، وعلى رأسها سرايا القدس، الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي، وكتائب القسام، الذراع العسكري لحركة حماس، مدناً إسرائيلية، فضلاً عن العاصمة تل أبيب، في حرب نوفمبر/ تشرين الثاني 2013، كانت إيرانية الصنع. كما لا يخفى على أحد المواقف المصرية الداعمة للقضية الفلسطينية على طول الصراع العربي ـ الإسرائيلي، ويذكر لمصر أنها من حولت القضية الفلسطينية من مجرد قضية لاجئين، إلى قضية سياسية دولية مكتملة الأركان.

وبالنظر إلى أن العامل الإسرائيلي شكل على مر تاريخ العلاقات المصرية ـ الإيرانية عنصراً حاكماً في طبيعة العلاقات الثنائية بين البلدين، إلى أنه أخذ طابعاً آخر مع وصول الرئيس محمد مرسي للسلطة في مصر، وهو ما جعله يشهد تطوراً تزايد مع الوقت من خلال تداخل المصالح المصرية ـ الإيرانية في غزة، التي تسيطر عليها حركة حماس، أحد فصائل التنظيم الدولي للإخوان من جهة، والمدعومة مباشرة من إيران من جهة أخرى. وقد برز هذا العامل بشكل شديد الوضوح إزاء حرب غزة 2012م، والتي لعب فيها الرئيس المصري الدكتور محمد مرسي دوراً بالغ

(52) محمد محسن أبو النور، «أبو النور: إيران تعد الآن لمرحلة ما بعد الأسد»، حوار مع فضائية «بلادي» العراقية، بث على الهواء 25 فبراير/ شباط 2013م.

(53) صاروخ فجر 5 هو صاروخ إيراني تم تطويره في سوريا يبلغ طوله 6 مترات ويصل مداه إلى 75 كيلو متراً منحته إيران لكتائب المقاومة الفلسطينية في غزة رداً على عملية للجيش الإسرائيلي، أطلق عليها «عامود السحاب» والتي بدأت رسميا في 14 نوفمبر/ تشرين الثاني 2012م، بمقتل رئيس أركان كتائب عز الدين القسام أحمد الجعبري، وردت عليها الفصائل الفلسطينية بعملية «حجارة السجيل». الباحث.

الأثر من خلال وساطته لوقف إطلاق النار بين الجانبين[54].

ويرى مهدي خلجي أن الحكومة المصرية في تلك الحرب وضعت المصالح القومية في الطليعة قبل الطموحات الإسلامية، وبدلاً من إثارة التصعيد في القتال بين إسرائيل وحماس في غزة، عملت مصر مع الولايات المتحدة وغيرها من الحلفاء الإقليميين على التوسط لوقف إطلاق النار، وعلى النقيض من ذلك، أعلن قادة إيران العسكريين دعمهم لحركة حماس، ولم يقدموا أية مؤشرات على رغبتهم في إنهاء القتال[55].

كان لموقف حركة حماس من الثورة السورية[56]، أكبر الأثر في دخول الحركة مرحلة جديدة، تمثلت في خروج مكتبها الرئيسي من دمشق متوجهاً إلى الدوحة، كما كانت لخطبة الدكتور إسماعيل هنية من فوق منبر الجامع الأزهر 24فبراير (شباط) 2012، في مصر أثرها على قادة إيران، حيث اعتبر في خطبته تلك أن ما يحدث في سوريا انتفاضة شعبية ضد نظام فقد مصداقيته في دعم المقاومة الإسلامية، إلى جانب ذلك بعث هنية برسائل مؤازرة إلى الشعب السوري، ووصفه بأنه «ينشد الحرية والديموقراطية والإصلاح». وبالنسبة للمراقبين لم يكن هذا الموقف مفاجئاً، لكنه أتى ليؤكد أن الحركة قطعت اتصالاتها ببشار الأسد نهائياً.

وبطبيعة الحال، عكست تصريحات هنية من الجامع الأزهر انقساماً ظهر أنه تعمق تدريجياً بين الأسد وقادة حماس، باعتبار أن كلام هنية يعد موقفاً رسمياً للحركة، إذ أن الانتفاضة في سوريا، دفعت الحركة إلى اعتماد خطة طوارئ، أعدت سلفاً للتعامل مع الملف السوري. وعمدت الخطة إلى إيجاد بدائل لعمل الحركة

---

(54) قدر لي أن أكون واحداً من شهود العيان الذين ذهبوا إلى غزة مرتين في عام 2012م، أحدهما في مارس/ آذار إبان العدوان الإسرائيلي على القطاع، والأخرى في نوفمبر/ تشرين الثاني إبان حرب عامود السحاب، وكنت شاهد عيان على تداعياتها، ورصدت آثارها عن قرب، ضمن وفد أرسلته الجامعة العربية إلى قطاع غزة من خلال البرلمان العربي، وكان على رأس الوفد أحمد الجروان، الذي أصبح بعد ذلك رئيساً للبرلمان والدكتور عصام العريان، نائب رئيس البرلمان العربي وقتها. انظر: محمد محسن أبو النور، كتاب الطريق إلى إيران، الحلقة الثالثة، معارج، الثلاثاء، 27 مارس/ آذار 2012.

(55) The Enduring Egypt-Iran Divide، mentioned before.

(56) حرصت حركة حماس على التحفظ عن إبداء رأيها في الاحتجاجات السورية ما وضعها في موقف حرج، خاصة بعد تعرض مخيم الرمل للاجئين الفلسطينيين في مدينة اللاذقية الساحلية غربي سوريا لهجوم من قبل القوات السورية في أغسطس/ أب 2011م. الباحث

السياسي بعيداً عن الساحة السورية، بعد أن رفض الأسد نصائح أسدتها له حماس التي تمتعت لسنوات بدعمه المطلق، وتعلّقت النصائح بضرورة الابتعاد عن الحل الأمني في مواجهة الاحتجاجات المتصاعدة في بلده. ووفق هذا الاعتبار جاء قرار حركة حماس، ومن بعدها حركة الجهاد الإسلامي، مغادرة دمشق تتويجاً لنقاشات معمقة وطويلة على مدى أشهر عدة داخل أوساط الهيئات القيادية، أكدت ضرورة الخروج النهائي من سوريا.

في تلك المعادلة، لا يمكن تجاهل الدور المصري، إذ أن حركة حماس ليست مخولة أن تتخذ مثل هذا الإجراء دون الرجوع إلى القيادة المركزية في القاهرة، والمتمثلة قطعاً في مكتب الإرشاد والرئاسة المصرية التي تقف خلفها على طول الخط، كما لا يمكن تجاهل حسابات ردة الفعل الإيرانية التي اعتبرت ـ ولا تزال ـ النظام السوري حليفها الأكثر أهمية في المنطقة. وعلى هذا الأساس، يمكن القول أن حركة حماس شكلت محوراً شديد الأهمية في العلاقات المصرية ـ الإيرانية، وتحولت من كونها مجرد رأس حربة موجهة إلى إسرائيل إلى لاعب يتكئ على الموقف المصري المناهض دائماً وأبداً للسياسات الإسرائيلية، وأدى هذا العامل بطبيعة الحال إلى انزواء فتح والسلطة الفلسطينية عن معادلة التأثير في مجريات الأحداث[57].

وفي مرحلة أخرى، ظهرت على السطح بوادر انشقاق داخلي بين زعماء حركة حماس، كانت لجماعة الإخوان المسلمين التي صعدت إلى السلطة في مصر وإيران دور محوري فيها، وتحدثت تقارير عن أن هناك خلافاً حول موقف حماس من الإخوان وإيران، وأن خالد مشعل تزعم أحد التيارين، بينما يقف أبو العبد[58] على رأس التيار الثاني، ومع استبعاد حصول انشقاقات أو تصدعات في بنية حماس، فإن ذلك مرده لسببين رئيسيين، أولهما وجود علاقات قوية بين إيران والإخوان المسلمين في مصر، حيث تجري اتصالات بين الجانبين يرجح أن تؤدي إلى نزع فتيل التوتر على الأقل في المرحلة الحالية، وثانيهما حرص الإخوان المسلمين على وحدة حماس في ظل

(57) أنظر: أبو النور، محمد محسن، الطريق إلى إيران، مرجع سبق ذكره.

(58) عندما زرت غزة للمرة الأولى والتقيت بالدكتور إسماعيل هنية رئيس وزراء حكومة حماس المقالة، عرفت أن كنيته التي يشتهر بها هي (أبو العبد). الباحث.

الحاجة إليها للعب دور أساسي على المستوى السياسي في الفترة المقبلة، وسعيهم لأن تكون البديل عن السلطة الفلسطينية بموجب اتفاق مع الدول الغربية، وفي مقدمها الولايات المتحدة[59].

وقد لا يكون من الغريب أن إيران وجدت نفسها في موقف متغير من حركة حماس، إذ أبدت الأخيرة مواقف مؤيدة للقرارات المصرية حيال الأزمة السورية – ولو بالصمت– وهو ما جعل إيران تعيد ترتيب أوراقها مع أطراف داخل حماس، خاصة أنها ترتبط في الأساس بعلاقات وثيقة مع كبار قيادات الحركة أبرزهم محمود الزهار.

وفي المقابل، عملت حماس على السير في اتجاهين من الخلافات المصرية ـ الإيرانية، تمثلا في تجنيب ملف المصالحة حدة الصراعات الإقليمية ودخول سياسة «تثبيت التهدئة» مرحلة التنفيذ، إذ رأت أنه ليس من مصلحتها الدخول في أي مواجهة محتملة بين إسرائيل وحزب الله في لبنان، أو بين تحالف دولي تكون إسرائيل جزءاً منه وبين النظام السوري.

ولئن كان استنساخ سياسة الحكومة اللبنانية السابقة القائمة على النأي بالنفس عن الأزمة السورية فور تحولها إلى مواجهة عسكرية إقليمية، رغم الضغوط الإيرانية التي تمارس عليها، لتكون جزءاً من الحلف الداعم لنظام دمشق هو المتغير الجديد المعمول به في حكومة غزة، فإن القادة أرادوا بشكل لا يقبل المناقشة الدخول في هدنة مع جميع الأطراف الإقليمية، لا سيما مصر وإيران باعتبارهما اللاعبين الإقليميين الأكثر تأثيراً سياسياً ولوجيستياً، مع الحفاظ على مكتسبات الحركة من كلا النظامين القائمين.

واتضح أن أكثر ما يشغل بال قيادات حماس في الخارج هو تخفيف وطأة التأثير الإيراني على كتائب عز الدين القسام، الجناح العسكري للحركة، على اعتبار أنها ترتبط مباشرة بكبار المسؤولين والقادة في الحرس الثوري الإيراني، وظهر على سطح

(59) التيار المتشدد في غزة نحو «حركة تصحيحية» بعد تصاعد الخلافات مع مشعل، السياسة الكويتية، 3 مايو/ آيار 2013م.

الأحداث أن خالد مشعل يحافظ على ما يمكن وصفه بشعرة معاوية مع طهران، لعلمه بتأثيرها القوي على الجناح العسكري للحركة، وعلى معظم الحركات الفلسطينية في غزة، وفي مقدمها الجهاد الإسلامي.

وخلاصة ما أعلاه أن الصراع العربي ـ الإسرائيلي شكل عنصراً لا يمكن تجاهله في سير العلاقات المصرية ـ الإيرانية بشكل عام، وبشكل خاص تطور هذا العامل بين البلدين مع بروز حركة حماس كلاعب لا يمكن الاستغناء عنه في توجيه سياسات أي من الطرفين تجاه تل أبيب، خاصة أنها مرتبطة بعلاقات أيديولوجية مع مصر الإخوان، وعلاقات براغماتية عسكرية مع إيران الولي الفقيه.

30 يونيو وما بعدها

لاشك أن أحداث 30 يونيو (حزيران) 2013، وما استتبعته من قيام القيادة العامة للقوات المسلحة بعزل الرئيس محمد مرسي، المنتخب ديمقراطياً، كان لها وقع الصدمة في قلب العاصمة الإيرانية طهران؛ ذلك أن قادة الدولة والسياسة في طهران لم يحظوا بفرصة تقارب جاد مع مصر إلا في عهد الرئيس مرسي، ليس هذا فحسب بل يخشى الإيرانيون كذلك من ردود فعل عنيفة ومفاجئة من جانب الإدارة المصرية الجديدة، بالرغم من أن أول قرار اتخذه الفريق أول عبد الفتاح السيسي كان إعادة القنصلية السورية إلى العمل في القاهرة التي أوقفها الرئيس مرسي، وهو ما يتماشى مع المزاج السياسي الإيراني العام.

ومع ذلك، يجب الأخذ في الاعتبار أن انهيار حكومة مرسي يلقي بظلاله على تحديات جديدة تواجهها إيران، في وقت تعرضت فيه سمعتها وهيبتها في الشرق الأوسط إلى العديد من الضربات الموجعة من جميع الاتجاهات، ومع ذلك، فقد أفسدت التطورات المتلاحقة في مصر الإستراتيجيات الإيرانية؛ ذلك أن عزل حكومة الإخوان المسلمين في مصر يمثل ضربة كبيرة لطهران. فقد قام الزعماء الإيرانيون بقطع العلاقات الدبلوماسية مع القاهرة في وقت سابق بعد توقيع الأخيرة معاهدة سلام مع إسرائيل عام 1979، وغالباً ما تعارضت السياسات المصرية اللاحقة

مع مخططات طهران. وعلى سبيل المثال، إن دعم الجمهورية الإسلامية العسكري والمالي طويل الأمد لحركة حماس منح النظام الإيراني نفوذاً في الأراضي الفلسطينية وما وراءها، لكن معارضة حكومة مبارك للحركة هدد هذا النفوذ. وتبعاً لذلك، فقد حاولت طهران تحسين علاقاتها مع جماعة الإخوان المسلمين وإيجاد أرضية مشتركة مع الجماعات الإسلامية داخل مصر وخارجها.

يذهب مهدي خلجي إلى أن الإخوان المسلمين، الذين خلفوا مبارك في حكم مصر، نجحوا في إقناع طهران بإمكانية مد جسور التعاون مع الجماعة رغم بدل اختلافاتها العقائدية والسياسية، واستئناف العلاقات الطبيعية مع مصر وتقوية موقفها في غزة والمنطقة في النهاية، غير أن جماعة الإخوان المسلمين فشلت في تلبية توقعات إيران، باعتراضها على موقف طهران من سوريا، ومن ثم فشلت في إحكام قبضتها على المستوى المحلي. والآن بما أن خصوم الجماعة – بما في ذلك السلطات العسكرية والعلمانية والإسلامية والمسيحية – قاموا بحشد الجماهير وعزل مرسي، فقد أصبحت إيران في وضع لا تحسد عليه، فمن غير المحتمل أن تجد طهران أي حلفاء بين اللاعبين السياسيين في مصر في المستقبل القريب[60].

وما يعكس تخوف إيران من الأحداث الجارية أن فكرة التقارب مع القاهرة ستظل حلماً بعيد المنال لطهران على الأرجح، حيث اتخذت كل القوى المناوئة للإخوان المسلمين موقفاً أكثر تشدداً تجاه الجمهورية الإسلامية، وذلك على عكس سياسة حكومة مرسي. وفي الوقت نفسه، فإن النفوذ الإيراني على الفلسطينيين سيصبح أكثر ضآلة، ليس فقط لأن علاقة حماس مع طهران تزداد سوءاً، بل أيضاً لأن الحكم العسكري في مصر سيجعل من الصعب جداً على إيران إرسال مساعدات إلى غزة عبر الحدود المصرية، وبصورة أكثر عمومية، فإن الكثيرين سيفسرون عزل الإخوان المسلمين على أنه فشل للإسلام السياسي الذي طالما شجعته طهران.

وبالنسبة لموقف طهران من الأحداث، فقد شهد تذبذباً، ذلك أنه حتى كتابة هذه الأسطر، لم تصف طهران ما حدث بأنه ثورة أو انقلاب، فقط يعلّق المسؤولون

(60) Khalaji.Mehdi. Iran's Losing Bet in Egypt. The Washington Institute. July 2013 ,8.

على الأحداث، وهو ما لوحظ في لهجة ردة فعلهم. وركزت التصريحات الرسمية على ضرورة تجنب المؤامرات الخارجية وغيرها من النغمات السياسية التي اشتهرت بها طهران الخمينية.

إذا استعرضنا الموقف الرسمي نجده يشهد عداً تنازلياً، يتناسب عكسياً مع تصاعد ثقة الإدارة الجديدة وسيطرتها على الأمور، ففي يوم 2 يوليو (تموز) عبّر مساعد وزير الخارجية الإيراني، حسين أمير عبد اللهيان، عن قلق طهران حيال تصاعد العنف في مصر، مؤكداً أن إيران تولي اهتماماً لحضور الشعب المصري في الساحة والذي يشكل رصيداً وطنياً. وأضاف عبد اللهيان في تصريحات أدلى بها لمراسل وكالة أنباء فارس، أن أية تقسيمات فئوية للشعب المصري لا جدوى منها، وينبغي الاهتمام بصوت الشعب. وأكد على ضرورة تحلي الشعب المصري بالوعي حيال مؤامرات القوى الخارجية. ولفت إلى أن الرئيس المصري محمد مرسي جاء إلى السلطة بأصوات الشعب، «وأن الاستماع لصوت الشعب يكتسب الأهمية من أجل الحفاظ على استقرار مصر وثباتها، وهو ما يتطلب تمسك الشعب المصري باليقظة حيال مخططات الأجانب». وأعرب عن ثقته بالجيش المصري، الذي صنع المفاخر في مواجهة الأعداء، وفي الحفاظ على دوره بدعم الحوار الوطني، والاهتمام بصوت الشعب في ظل الظروف الراهنة كما حصل في مراحل الثورة[61].

في اليوم التالي مباشرة، أي 3 يوليو (تموز) عبّر المتحدث باسم الخارجية الإيرانية عباس عراقجي عن قلقه من استمرار التوتر في مصر، وأكد ضرورة تلبية واحترام المطالب المشروعة للشعب المصري. وأشار عراقجي في تصريحات رسمية نقلتها الوكالة الإيرانية الرسمية، إلى الاهتمام الذي توليه الجمهورية الإسلامية الإيرانية للتطورات الجارية في مصر، وعبّر عن قلقه من استمرار التوتر في مصر الذي أفضى إلى مقتل وإصابة العديد من المواطنين المصريين الأبرياء، مشدداً على ضرورة تلبية واحترام المطالب المشروعة للشعب المصري[62].

(61) إيران تعرب عن قلقها إزاء تصاعد العنف في مصر، وكالة فارس 2 يوليو/ تموز 2013م.

(62) إيران تؤكد ضرورة احترام المطالب المشروعة للشعب المصري، وكالة إرنا، 3 يوليو/ تموز 2013.

في تطور من الجانب الإيراني، وفي اليوم نفسه، أي 3 يوليو (تموز)، نشرت الوكالة الرسمية خبراً استعملت في عنوانه لفظ «المعزول»، وهي خطوة ذات دلالة على أن إيران اعترفت بالأمر الواقع في مصر، على العكس من موقف تركيا أو تونس أو الاتحاد الإفريقي. وقال الخبر إن «الجيش المصري يحتجز الرئيس المعزول وأنباء عن نقله إلى وزارة الدفاع».

في غضون ذلك، بدا واضحاً اهتمام وسائل الإعلام الرسمية الإيرانية بالأحداث المصرية، وظهر هذا بوضوح من خلال كم الأخبار والتقارير المعنية بالشأن المصري، إذ نشرت وكالة فارس في صدر صفحتها الرئيسية تقريراً عن أسباب عزل مرسي، في الموضع المخصص دائماً لأخبار القائد الأعلى الإيراني علي خامنئي. ونشرت وكالة مدعومة من الحرس الثوري تقريراً عن مظاهر الاحتفالات[63] المصرية في الشارع.

في 7 يوليو (تموز) أخذ الموقف الإيراني بُعداً جديداً، حيث وجه المتحدث الرسمي للخارجية الإيرانية عباس عراقجي، رسالة إلى المصريين بضرورة التحرك لإعادة الرئيس مرسي للحكم. وقال في حديث بثته وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية الرسمية نقلاً عن شبكة فوكس نيوز الأميركية أنه «يجب ألا يتخلّى أنصار الرئيس المصري محمد مرسي عن سعيهم لإعادته للحكم، لأن الرئاسة لا يجب أن يقررها الشارع. وأن الإطاحة بالدكتور محمد مرسي خطوة غير صحيحة». ووجه عراقجي حديثه للقوى الإسلامية بقوله: «لا ينبغي أن تصاب القوى الإسلامية والثورية بالإحباط لأن الربيع العربي يمكن أن يتبعه صيفاً حاراً وشتاءً بارداً»[64].

وفي عصر اليوم نفسه، أي 7 يوليو (تموز)، أكد عراقجي أن تطورات المشهد المصري لا يمكن اعتبارها هزيمة للصحوة الإسلامية أو هزيمة للتوجهات الإسلامية قائلاً: «إننا كنا أعلنا منذ البداية بأن ثورة مصر ستواجه سنوات عصيبة إلى أن يستقر الوضع فيها». وقال في تصريحات نقلتها الوكالة الإيرانية الرسمية: «أننا لا نعتبر ديمقراطية الشارع ديمقراطية جيدة. ونعتبر أن تدخل العسكر في القضايا

(63) الاحتفالات تعم شوارع القاهرة فور الاعلان عن عزل مرسي، وكالة فارس، 4 يوليو/ تموز 2013م.

(64) في أول رد فعل رسمي.. إيران تدين الإطاحة بمرسي وتحث أنصاره على إعادته للحكم، وكالة أنباء الشرق الأوسط، الأحد 7 يوليو/ تموز 2013م.

السياسية وقيام القوات العسكرية بتغيير الحكومات المنتخبة عمل مذموم. وأنه لا يليق للديموقراطية أن يُبَادر إلى تغيير رؤساء الجمهوريات من خلال الشارع[65].

تلك التصريحات لم تمر على الحكومة المصرية مرور الكرام، وبالرغم من أن الخارجية المصرية شهدت حالة من التوتر إزاء أحاديث نخبوية عن تغيير الوزير محمد كامل عمر، إلا أن ذلك لم يمنع المتحدث الرسمي باسم الخارجية المصرية، السفير الدكتور بدر عبد العاطي، من التعبير عن ما وصفه بـ «استياء مصر الشديد من تكرار صدور تصريحات عن مسؤولين إيرانيين تنم عن عدم إلمام دقيق بطبيعة التطورات الديمقراطية التي تشهدها مصر، وتمثل تدخلاً غير مقبول في الشأن الداخلي المصري»[66].

وطالب المتحدث الرسمى في بيان له وزعته الخارجية المصرية على الصحفيين، المسؤولين الإيرانيين بالتركيز على ما تواجهه بلادهم، من تحديات داخلية وخارجية بدلاً من التدخل فى الشؤون الداخلية للدول.

وفي يوم الثلاثاء 9 يوليو (تموز)، تغيّرت لهجة إيران نسبياً من الأحداث مع الموقف الصلب الذي أبدته مصر. وفي مؤتمره الصحفي الأسبوعي الذي تعقده الخارجية الإيرانية كل ثلاثاء، قال عراقجي أن الحوار والمصالحة الوطنية هما الطريق لحل الأزمة في مصر، وأنه من المؤكد أن الشعب المصري الواعي سيتحرك في هذا الاتجاه، وسوف لن يسمح للأيادي المثيرة للتفرقة التي تشاهد مؤشرات خارجية فيها، من أن تسوق مصر نحو المواجهات والخلافات والنزاعات الداخلية. وفي رده على سؤال حول عزل الرئيس المصري محمد مرسي وتأثير ذلك على التطورات في سوريا، قال أنه لا يمكن لإيران التقييم بدقة كيف أن هذه التطورات تؤثر على القضية السورية وسائر القضايا، ولكن ما يدعو للقلق أن لكل تطور تداعياته، و«نحن قلقون من تمدد الأزمة في المنطقة من دولة إلى أخرى».

(65) المتحدث باسم الخارجية الإيرانية: التطورات في مصر لا تعتبر فشلاً للصحوة الإسلامية، وكالة إرنا، 7 يوليو/ تموز 2013م.

(66) بيان صحفي منشور على موقع الخارجية المصرية.

في تلك الأثناء، كان ما يزيد عن خمسين شهيداً قد لقوا مصرعهم أمام نادي الحرس الجمهوري فجراً برصاص الجنود، ما جعل وزير الخارجية الإيرانية علي أكبر صالحي يخرج عن صمته ويعلن بنفسه في 10 يوليو (تموز) أنه «من المؤسف أن عدداً من أبناء الشعب المصري الأبرياء قتلوا في أحداث الحرس الجمهوري الأخيرة، ونحن ندين ذلك بشدة»[67].

وفي صباح اليوم التالي، الموافق 11 يوليو (تموز)، قالت وزارة الخارجية المصرية أن الوزير محمد كامل عمرو تلقى صباحاً اتصالاً هاتفياً من نظيره الإيراني على أكبر صالحي، نقل خلاله مضمون التصريحات الصادرة بالأمس عن صالحي، والتي أكد فيها أن «مصر دولة كبيرة لها دور مؤثر وحاكم في المنطقة، وأن الشعب المصري هو الذي يجب أن يحدد مصير بلاده، وأن الجيش المصري هو جيش وطني». وقالت الخارجية المصرية أن الوزير محمد كامل عمرو أعرب خلال الاتصال عن تقديره لمضمون تصريحات صالحي.

يمكن القول، أن إيران سُرّت في بداية الأمر لوصول إسلاميين إلى السلطة في مصر، وقد توقّع الإيرانيون أن تعود العلاقات مع مصر إلى سابق عهدها، وأن يتخذ مرسي خطوة أكثر حسماً تجاه إسرائيل، من خلال إلغاء معاهدة السلام التي أُبرمت معها خلال عهد السادات. إلا أنّ أملهم قد خاب، ذلك أن مرسي لم يستطع أن يتحرّك بسرعة لإعادة العلاقات مع إيران إلى سابق عهدها. وبدا عاجزاً عن التخلي عن معاهدة السلام مع إسرائيل، فيما أخطأت إيران، حين اعتقدت أنّ حليفاً لها وصل إلى السلطة في مصر.

يرى عدد من الخبراء الإيرانيين أن المساعدة السنوية الأميركية التي تبلغ قيمتها 1,5 مليار دولار، شكّلت أهمية كبرى لمصر، وعلى هذا الأساس لم يكن بوسع الإخوان المسلمين ومرسي ردّ هذه المساعدة وتعريضها للخطر، لمجرّد إقامة علاقة أفضل مع إيران. وبدلاً من ذلك، فرضت جماعة الإخوان المسلمين قيوداً أكبر على مصر، وأرغمت الشعب على اتباع نهجها. وعرضت إيران مساعدة مالية على مصر

(67) صالحي: ندين قتل أبناء الشعب المصري الأبرياء، وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية (إرنا) 10يوليو (تموز) 2013.

وألغت تأشيرات الدخول للسياح المصريين، فيما وقّع البَلدان على اتفاقية للتعاون السياحي. وكان الإيرانيون يتوقون لزيارة مصر وينتظرون بفارغ الصبر زيارة المواقع الأثرية القديمة فيها، وتطبيع العلاقات معها. إلا أنّ مشكلات عدة حالت دون ذلك. ورغم الجهود الحثيثة التي بذلها الرئيس أحمدي نجاد وفريق عمله لإعادة الحركة السياحية بين إيران ومصر، تمّ إلغاء رحلات عدّة. وادّعت حكومة مرسي أنه لا يسعها ضمان أمن الزوار الإيرانيين، مشيرة إلى إمكان حصول صدامات بين المتطرفين والإيرانيين. أمّا الإيرانيون، فشعروا بخيبة أمل كبيرة، ولم يصدّقوا أنّ المصريين قادرون على معاملتهم بهذا القدر من العنف[68].

وحتى كتابة هذه الأسطر، أبدت إيران تمسكاً كبيراً بأمل إعادة العلاقات بشكل كامل مع مصر، من خلال حرص وزير الخارجية علي أكبر صالحي، على الدفع الدبلوماسي المكثف مع كافة الأطراف الفاعلة في الشأن المصري، يدل على ذلك الاتصالات التي أجراها صالحي في نهار 14 يوليو «تموز» مع كل من وزراء خارجية دول مجلس التعاون، ووزير الخارجية التركي أحمد داود أوغلو، والدكتور محمد البرادعي، نائب الرئيس المصري المؤقت للشؤون الخارجية. وأكد صالحي من خلال تلك الاتصالات، موقف إيران الذي بدا أكثر ميلاً تجاه الإدارة المصرية الجديدة، بعد أن ألقت بثقلها على مدار عام كامل في جانب الإخوان ومرسي. فهذه هي السياسة: مصالح ثابتة وأشخاص متغيرون!

(68) تحليل نشرته وكالة فارس الإيرانية للأنباء، 14يوليو (تموز) 2013.